كتاب

أدب العرب

في الشعر الجاهلي

بحث تحليلي لشعراء الجاهلية

كتب مقدمته
محمد يوسف دخيل

حلل الشعر فيه وكتب تراجم الشعراء
محمود علي قراعه

(مطبعة وادي الملوك بالمشاوي بمصر)

- بيراعة الاستاذ كريم خليل ثابت -

عن الدكتور طه حسين

الدكتور طه حسين من نوابغ مصر المعدودين بل من نوابغ الشرق القليلين أن لا تكون من مبدئ الدكتور طه في مبادئه السياسية وآرائه الدينية والاجتماعية ولكنه لا يسعك إلا أن تعترف بنبوغه وتقدره حق تقديره

كريم خليل ثابت

والصلاة والسلام على رسوله الكريم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الاهداء

الى استاذى العزيز ـ الدكتور طه حسين

استاذ الادب العربي بالجامعة المصرية

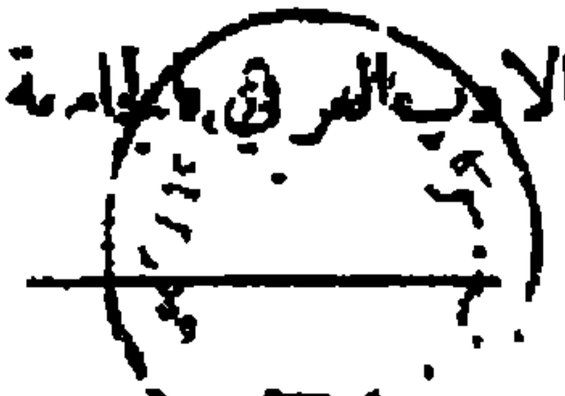

هذا كتاب ، كتب (الأستاذ محمد يوسف دخيل) مقدمته ثم خالت ظروفه بينه وبين اتمامه ، فرأيت أن أقوم باعباء هذا الاتمام اجابة لطلب الناشر ، وخدمة للمباحث العلمية ، وذكراً لفضلك في اثارتها وهأنذا أقوم بهذا الواجب حباً في تقديم هذا الكتاب لك واهدائه اليك ، هدية تلميذ لاستاذه !!

محمود على قراعه

الفهرس

صفحة

ا الإهداء

١ مقدمة الاستاذ محمد

٦٥ امرؤ القيس

٨٠ طرفة بن العبد

٨٩ زهير بن أبي سلمى

٩٦ لبيد بن أبي ربيعة

١٠٥ كلمة مجملة عن أصحاب المعلقات السبع

عمرو بن كلثوم

الحارث بن حلزة

عنترة بن شداد

الخاتمة

الله

الاعتراف بقوة عليا مسيطرة على العالم ومحركة لنظامنا الاجتماعي

أمر محتم علينا والاقرار بوحدانية الله واجب مفروض وذلك مانرى اعتباره أساساً للبحث فى نظام المجموعة البشرية وتاريخ حياتها وتطوراتها منذ اليوم الذى تكون فيه أول هيكل من هياكل الانسان . هيكل آدم عليه السلام آدم ابن الفكرة العالية . ابن الارادة المقدسة . فكرة الله وارادته يوم رأى ان الوقت قد حان لرفع الستار عن مرسح الحياة التي ظهر عليها أول ممثليها وهما آدم وحواء

نريد أن ندعو دعاة المذاهب المادية الحاطئة فى أعتقادنا وفى اعتقاد الاجماع . العصابة فى وهمهم وزعمهم . نريد أن ندعوهم للتفكير قليلا فى ادعاءاتهم واعتقاداتهم التي لاشك في أنهم فى اضطراب فكرى دائم من أجلها ومن أجل مايساورهم من الشك في صحتها وبطلانها لأنهم أقاموا حجتهم على مجرد الفروض والاحتمالات مما لامجال للبحث فيه هنا. وفاتهم أن حجة الفرض والاحتمال لايصح أن تكون أساساً للحكم على أمر من الخطورة بمكان لايستهان به وهو تحويل عقائد المجموعة من ناحية الاعتراف بقوة السماء المقدسة الى ناحية قوة مجهولة مفروضة هى قوة الطبيعة وان الانسان والحيوان وكل كائن من نتاجها . ولكن تلك الافكار المضطربة المتشائمة هى أدمغة اولئك المأدبين لابد وأن تكون نتيجة بحث تنازعت فيه أمامهم قوتان احداهما من صنع الاخرى وهما قوة الله

وقوة الطبيعة ولكن أنصار الفكرة المادية في بحثهم انقادوا الى النظريات المادية ودرسوها ولم يرجعوا الى الشرائع السماوية وما احتوتها من نظم وأحكام لاشك ان فيها دلائل عقلية قوية كان من المستطاع الاستناد عليها لو رجع اليها فى تنازع البحث بين الفكرتين ... ولكن دعاة المادة أقاموا مذهبهم على مجرد التعمق فى الفلسفة النظرية فأنكروا قوة السماء وهى — الله — بل أنكروا وظيفة الرسل والانبياء واعتبروهم مجرد أفراد كانت لهم شبه سيادة على أقوامهم الذين نشأوا بينهم . ولم يعترف الماديون بأن الشرائع التي أتى بها الانبياء من صنع الله بل زعموا ان الرسل هم الذين سنوها لتكون لهم كبرامج يحكمون بها الطوائف والامم . والاسد من ذلك انهم تعمقوا فى ضلالهم الى مدى أنكار ان آدم هو أبدء الخليقة البشرية واعتبروه خلف لسلف لا بداية له كما انه سلف لخلف لانهاية له . وقد ذهب جماعة من شباب العصر الحديث مذهباً أصل وادعى الى الاسف مع السخرية فعللوا ما آراء لا يمكن اعتبارها فكرة أن الكتب السماوية التي أنزلت على الرسل والانبياء في العصور السالفة لم تكن سوى بدع ابتدعها أولئك الانبياء وان ما أشيرفيها الى وجود بعث وحياة جديدة بعد الموت وعقاب ونعيم كل ذلك خرافة لا يمكن أن يكون لها وجود مهما أقيمت على صحتها الادلة والبراهين وأتي انزل من الخوارق والمعجزات . وعلى ما يذهبون يجب أن يكون النظام الاجتماعى منشأ مع روح النمو والتقدم العمراني فلا يصح أن يتقيد نظام الكون بتشريع خاص قد لا يتعادل مع مقدار نهضة الشعوب ورقيها . ولعل في قولهم هذا معنى خاص برمته

الي انكار أحكام الشرائع السالفة لأن رقى العقل الانساني ونهوض الفكر البشرى اصبح فى درجة لا يمكن التوفيق بينها وبين القوانين التي كانوا يخضعون لها من قبل . ولقد قات أصحاب ذلك الرأي ان أغلب تلك الشرائع ان كان بعضها خاص بعصر معين وقوم مقصودين ولكن أحكامها صالحة لأن يستند عليها فى عصور غير عصورها وبين أقوام غير أقوامها . أو ليس القرآن الذي بعث به محمد بن عبد الله تشريع صح لحكم قريش وغيرهم ممن خضعوا للراية الاسلامية ويصح لأن يتحاكم به العالم فى تلك العصور الحاضرة لانه لم ينزل لزمن خاص ولا لأقوام بعينهم وسعة أحكامه كافية لخلود صلاحيتها لحكم الشعوب الي عصور تنتهي بانتهاء الكون كما انها جاءت موافقة لاغلب النظم والتقاليد التي كان يتبعها العرب وغيرهم من الامم التي عاشت فى أزمان الجاهلية وأطوارها كما سيأتى ذكره بعد عبرة لأعصار القوانين الوضعية أعداء السماء وأحكامها ممن ينتصرون للمادة ويعملون لجعلها مذهباً شاملاً يقام على أطلال المذاهب الدينية وخصوصاً الاسلام

لعد الى ما بدأنا به معترفين (أولا) بحقيقة وجود ـ الله ـ (ثانياً) الايمان بما جاءت به الكتب السماوية وأحكامها والرسل والانبياء الذين شرعوا لهذه الشعوب تلك الاحكام معتبرين ـ آدم ـ عليه السلام هو أول أولئك البشر

بدء الكون

اشارت الكتب السماوية التي تؤمن برواياتها وذكر الرسل الذين تصدق باحاديثهم ان الله سبحانه وتعالى كان قبل بدء الخليقة على عرشه فى المياه من عصور لا بدء لها فلما ارادت قدرته ان يبدأ فى تكوين العالم قيل أنه خلق القلم فدون جميع ماقدره في الأزل وحوادث الامم والشعوب والافراد الي يوم البعث وهو اليوم الذي ينتهى فيه العالم والكائنات ثم خلق الليل وأعقبه بالنهار ليكون استعداداً لحركة جديدة فى الكون ربما كانت خلق للملائكة يعقبها البدء الحقيقى لوجود الجنس البشري بخلق آدم وحواء عليهما السلام

خلق الله الملائكة وخلق من بينهم قبيلة اختصها بخزانة الجنة اولئك هم (الجن) فقد كانوا من الملائكة المتازين لا كما يعتقد جمهرة الناس وخاصة المسلمون منهم أنهم خلقوا للعمل والحياة التي يعيشونها الآن — من بين تلك الطائفة كان ابليس الذى اقامه الله رئيسا على جميع الملائكة فحدث ان جماعة الجن أتوا ماأغضب الله فأرسلهم الي الارض فكانوا فيها مفسدين . وقست بينهم الفتن فقتلوا بعضهم بعضا حتي صعبت منهم الملائكة الذين احتفظوا بمكانهم من السماء . ولم يشترك أبليس مع قومه فى عصيان الله وانما بقي فى مكانته ولكن كرم ربه وحلمه حرك فى نفسه نزعات الشر والطغيان فطن أنه اسمى من المكانة التي وضعه الله فيها فحدثته نفسه بالعصيان وادعاء الالوهية معتمدا علي ماكان يراه من طاعة الملائكة واحترامهم له بحكم رئاسته ولكن

لم تكن فى نفسه الجرأة الكافية فبقيت تلك النزعة كامنة وهي نزعة حسد وجحود وكان فى أمكان سيده ومولاه أن يعاقبه في ذلك الظرف لانه يعلم سريرته وما يجول فى نفسه من التمنيات الخبيثة ولكنه سبحانه عظم شأنه لم يرأد انة ابليس بمجرد النية والعزم على ارتكاب الجريمة فحفظها له وحتى لا يظن الملائكة أن سيدهم عاقب ابليس لغير جريمة رأوا أنه ارتكبها فتأجلت العقوبة ليوم كان يعلمه الله ويعلم أن فيه يجاهر ابليس بخطيئته وعصيانه

كان ذلك في اليوم الذى جرت فى آدم روح الحياة بعد خلقه وتكوينه وقد أراد الله أن يتبع خلق آدم بخلق اول نوع من انواع النظام الاجتماعى هو نظام الحكم والجزاء الذي طبقه على ابليس كبير ملائكته حين أمرهم بالسجود لأول انسان من خلقه فكانوا جميعا طوع أمره فخروا لآدم سجدا الا ابليس فقد ظهرت طوية نفسه وجاهر بانه غير خاضع لامر ربه استكبارا وعناداً . وهنا وقعت الجريمة ووجبت عليها العقوبة وكان هذا أول مثل ضربه الله لعبده آدم ليعلمه أن الله لا يعرف محاباة فى حكمه مهما كان للمرتكب عنده من الحظوة والمنزلة فقد رأي آدم بعينه كيف طرد ابليس من رحمة الله وحقت عليه النقمة والعذاب والتشريد الي يوم نهايته الجزاء الاوفى . يوم البعث والنشور .

كان ذلك المثل خير نذير لآدم اذ شعر بأن الله قدأعده لعمل حيوي هام هو الحياة أو مافيها من جهاد وقد لاتكون له الحرية فى النجاة من تطبيق عدل ربه كما لم تكن له العصمة التي تقصيه عن ارتكاب الخطيئة فقضى آدم وقتا من حياته فى الجنة يرافقه زوجته حواء وشبح الجريمة والعقاب

ماثل امام عينيه لانه رآها طوحا بأبليس فى هاوية سحيقة القرار .
أليس ذلك دليل قسي على أن المخلوق لابد له امثال فكرة الاجرام فى نفسه من قانون يري فيه الانذار والتهديد والارهاب والوعيد ؟

المرة الثانية يقع ما نسميه جريمة أو خطيئة والمرة الثانية تقام حدود العقاب ونتيجة ذلك ـ العدالة ـ عدالة السماء فهي التي خلقت كل شيء ووصمت بطابع كل شيء . فالجريمة والعقاب والعدالة والعمران كلها من خلق الله وصنعه . وقد طبقت تلك الاحكام كلها على آدم وزوجته يوم غرر بهما ابليس فوقعا فى الخطيئة والمعصية فأخرجها الله من الجنة عقابا لهما على ماوقعا فيه ثم كان عفوه وغفرانه عند ماتوسلا اليه بالتوبة والاستغفار اعترافا بالخطيئة

لم يكن من المقدر لأبليس أن يعيش الى الأبد في ملائكيته كما لم يقدر لآدم أن يقضي حياته وأولاده من بعده فى الجنة بل كل ماوقع كان امرا مقدرا من قبل فى سجل تاريخ الكون ووصمت خطط تلك الوقائع لتكون عظة وعبرة لأقوام وشعوب قدر الله خلقهم من سلالة آدم وحواء

نزل آدم الي الارض فأول ماوطئت قدمه منها حريرة (سيلان) جنوب بلاد الهند على جبل (بود) وحده نفسه وحيدا تائها لايدري أين مكان زوجته وما كان معه من شيء(١) ولكن الله لم يتركه فى تشريده وآلامه المضية لما كان يعلم مما يجيش فى صدره من مشاعر التوبة والاستغفار فأوحى اليه عن طريق الالهام الروحي أن يسير في طريقه نحو العرب حتي بلغ مكان من

---

(١) عن رواية من يقول بحدوث الولادة في الجنة

أرض الحجاز حيث ارتاح قلبه وشعر بأنه على وشك العثورعلى حـواء . ذلك المكان هو الذي يطلق عليه (المزدلفة) . حيث اجتمع بعدها بزوجته وتعارف بها علي جبل عرفات الذى سمي بهذا الاسم لتلك المناسبة .

نظام العشائر

لم يكن آدم وحواء وحدهما ليكونا عائلة لو لم يكن هناك تناسل يتكون منه أبناء وبنات يصح أن يتكون منهم نظام عائلي توطئة للتوسع فى نظام الاجتماع ولقد كان آدم حقا أول مؤسس للعائلة بالمعني المعروف والمتفق عليه . كما أنه كان من افراد تلك العائلة مؤسسي العشائر والقبائل . ذلك النظام المعروف بأنه عبارة عن مجموعة من العائلات مجتمعا رابطة واحدة أمارابطة الانتساب إلي حد واحد أو عادة وتقليد مشترك . ولقد كان من اولاد آدم أول من كون هذا النظام وأن كانت سنة التوسع في عدد العائلات هي التي اوجدته ولـكن هذا لايمنع من اعتبار من ظهروا على رؤوس العشائر مؤسسين لها وكان قابيل ممن كونوا نظام العشيرة كما كان شيث عليه السلام من مؤسسيها وكلاهما من أولاد آدم من صلبه . ولـكن تفاوت بعض العشائر فى التقاليد والعادات لم يكن لغير مناسبة لها علاقة ظاهرة بنفسية المؤسسين واخلاقهم لابد لنا من ذكر طرف منها فأن الخلاف الخلقي والنفسى المشاهد فى كثير من البشريين فى عصورنا الحاضرة يرجع الى جملة اسباب نخص بالذكر منها هنا حادثة تركت فى تاريخ البشر في صيحة وجـوده أثرا في نفوس بني الانسان علي اختلاف الشعوب والطبقات . وذلك أن آدم عليه السلام بعد

نزوله الي الارض الهمه الله أن يسن لأولاده شريعة الزواج لاظهار حركة التناسل المرجو منها عمران الكون . ولقد كان من عادة حواء أن تلد توأمين ذكرا وأنثى. فكان قابيل وأخته التي ولدتهما من مواليد الجنة(١) .ولدتهما حواء قبل حادثة الخروج منها

ثم ولدت فى الارض هابيل مع أخت له وكانت شريعة آدم فى الزواج أن يتزوج كل من أولاده بشقيقة أخيه وتوأمته لحكمة ندركها اذا فهمنا معنى الزواج بأنه عبارة عن ايجاد صلة بين زوجين لم تكن موجودة من قبل حتي يمكن أن يتولد من تلك الرابطة الجديدة روح وفاق ومحبة هما أساس السعادة الزوجية . فلما عرض علي قابيل زواج أخت هابيل رفض وكبر فى نفسه أن يتزوج بغير توأمته وعز على نفسه أن يترك تلك التوأمة التي ولدت معه في الجنة ليتزوج بها هابيل وذهب به حب الايثار علي التمسك بشقيقته وعدم التنازل عنها لهابيل مهما كانت النتيجة لاعتقاده أن هابيل هذا وتوأمته من مواليد الارض فلم ينالا شرف المولد وطهارته كما نالها قابيل وتوأمته فلم تزاع هائل بين قابيل وهابيل يدافع الاول عن حجته بسلاح نظري بحت ويدافع الثاني عن حقه بسلاح تشريعي سنه آدم من وحي السماء . ولكن كانت نتيجة ذلك الخلاف أن تغلب قابيل علي أخيه هابيل فقتله! وكان ذلك أول حادث من حوادث القتل البشرى علي وجه الارض . ولقد وقف قابيل امام جثة القتيل حائرا مضطربا وقد استولي عليه الرعب

---

(١) ابن الاثير

والحزع وتملكه الارتباك فلم يدر كيف يخفي جريمته المنكرة عن عيون اخيه اللتين كانتا موضع النزاع وداعية القتال .

أن البشر فى الواقع من ممتلكات الله يفعل بهم مايشاء فى سبيل اظهار آياته وحكمه امام خلقه ومعاذ الله أن نقصد به غير التقديس والاجلال اذا قلنا أنه يضحي بأمراد من عبيده فى سبيل عظة المجموعة وهكذا قدر لهابيل أن يموت قتيلا ليرينا أن فى سجل الحياة المقبلة نوع من تلك الجريمة ستكون وسيلة الامم والشعوب فى تكوين وحدتها . ولم تكن هداية الله لتترك قابيل في حيرته معرضا جثة أخيه للوحوش والهوام فأراد أن يضع للبشر نظاما خاصا لمواراة موتاهم فبعث غرابا نبش في الارض امام قابيل فأدرك من هذا المشهد أن يحفر الارض حيث وارى جثة القتيل وبعدها سار كل بني آدم علي ذلك المثل فى دفن جثث موتاهم فى باطن الارض .وقد تمكن الهلع من نفس قابيل وشعر بعظم الجريمة فلم يطق البقاء في مكانه بل استصحب شقيقته وفر بها هاربا الى مكان قصي بارض اليمن حيث تزوج بها وصار له منها ابناء وفر عددهم وعظم سلطانهم ونفوذهم

كان دم هابيل أول دم بشري أريق علي الارض وهو الضحية الاولى التي خلقت في الوجود أول ترعة من نزعات البغضاء والعدوان بين بني الانسان بل كل ماعدا ذلك من اختلاف فى النفسية والاخلاق والعادات وغيرها من كل خلتين متناقضتين

ولكن عجباً ! كيف أن قابيل وزوجته وقد ولدا فى الجنة قبل أن يرتكب ابواهما الخطيئة ومع ذلك نراه هو أول من سن سنة العداء والاجرام

خلقتي بين البشر . ونرى كيف أن شيث الذى لم ينل شرف المولد الذي نال اخوه قابيل ومع ذلك تكون له الحظوة في خلافة أبيه فى الرعامة بل شرفه الله بالنبوة وكان من سلالته خير الرسل والانبياء واصحاب العروش والتيجان بينما استسلم قابيل لابليس الذي عرر بأبيه فاقصاه عن الجنة ووسوس له قتل أخيه هابيل . استسلم له هـذه المرة حيث عرر به الى عبادة النار فعبدها مستنكرا وجود الرب الحقيقى الذى خلقه وخلق أباه من قبل ستة عشر جيلا سنها قابيل لأولاده اذ عكفوا على عبادة النار والسجود لها من دون الله . . . هـذا قابيل ابن الجنة امام المحوسية فى باكورة الوجود . وشيث ابن الارض أمام العبودية الحمقة . عبودية الله القدوس .

ولم تتقيد سلالة كلا الاخوين بما ورثوه عن أبويهما من صالح الخصال وحسنها بل كثيرا ماكان يظهر من سلالة قابيل خير الامم وأعاظم الرجال بأكثر ما كان يظهر من سـلالة شيث النبى وعلى كل حال فوجـود فارق واختلاف في اخلاق رجلين من أولاد آدم قضى على روح المساواة ليكون هناك أساس التنازع الانسانى فى الحياة

نظام القبائل

انفصل أولاد آدم عن بعضهم وتفرقوا في جهات عبر متباعدة من الارض ولكن كان أوسعهم ملكا وأكثرهم نسلا هما قابيل في الجنوب وشيث في الشمال . فلما كثرت أولاد كل منهما واحفادهما وازدحمت بهم البلاد التي كانوا يقيمون فيها اضطرتهم ضرورة التوسع الى النزوح كل عشيرة في جهة فنشأ من عشائر القابليين مجموعة قبائل انتشرت في جهات جزيرة العرب حتى اتصلت بقبائل الشيثيين وكان شيث قبل ذلك مقيما بارض الحجاز على رأس قومه حيث وضع لهم نظاما تشريعيا خاصا استمده من الارشادات والاوامر التي نزلت عليه وعلى أبيه من السماء واستمر الشيثيون يتحاكمون بمقتضاها عصرا طويلا حتى بعد وفاة نبيهم شيث

وبحكم المناخة والجوار بين قبائل بني قابيل وبني شيث نشأت بعض مناوشات وحروب اضطرت أهل الشمال في النهاية للتراجع الى الوراء . ولم يستمر الشيثيون في موطنهم كملة واحدة بل انقسموا الى قسمين فأولاد (أنوش) نزحوا الى الغرب والجنوب وامتد أولاد (حومرت) الى الشرق وكلاهما من أولاد شيث

نظام الملكية

لم يكن نظام الملكية بدعة ابتكرها انسان عن رعبة خاصة فى نفسه وانما اقتضت سنة النظام الاجتماعى وجود مثل ذلك النوع من الحكم وخصوصا فى مثل تلك العصور الغابرة ولتدلل علي ان الانسان فى كل اطواره خاضع لذلك النظام نوضح ماهى الملكية وكيف تنشأ فكرتها . فالملكية تنحصر فى أن كثرة العشائر والقبائل أما أن يؤدي الي تكوين شعب لا بد له من رئيس يحتكم اليه . أو يؤدى الي وجود رغبة في نفوس زعماء العشائر تحملهم على الطمع فى بعضهم تكون نتيجته الحروب والمنازعات فتكون الغلبة فى النهاية لفيلة من تلك القبائل فتصبح القبائل المنهزمة خاضعة بحكم الهزيمة الي الزعيم المنتصر . وهنا تظهر السلطة الفردية . سلطة ذلك الزعيم على جملة قبائل متعددة فينتقل سلطانه من حكم قبيلة واحدة الي حكم مجموعة من القبائل خضعت له فى صورة شعب واسع تحت نظام أوسع هو نظام الملكية فلو علمنا أن النزاع بين بنى الانسان أمر مسلم بدوامه وأن السلام بين الاء والافراد لا يمكن توطيده ادركنا ان الزعامة والملكية نظام يعيش مدي حياة البشر . ولقد علمنا من مراجعة كثير من المراجع التاريخية المعتمد بروايانها أن أول نظام ملكي ظهر فى الوجود كان في عهد (اوشهنج) من احفاد شيث عن ولده (انوش). فقد اشتد بأسه وعظم سلطانه وامتد نفوذه علي كل من كان حوله فخضعوا له جميعا وبودى به ملكا فكان هو أول من لبس التاج على رأسه وجمع في يده السلطة التنفيذية والتشريعية

والقضائيه . ومع أن شريعة آدم قدمضي عليها وقت كادينا ساه الناس ولكن (اوشهنج) رأي انه غير مقيد بتلك الشريعة فسن قانونا جديدا للعمل بمقتضاه فى المشكلات التي كانت تقع بين افرادشعبه .وكان هو الحاكم بمقتضى ذلك التشريع والمنفذ لما يحكم به على المجرمين من العقوبات ومع تلك السلطة الفردية لم يكن ظالما فى حكمه بل كان عادلا عاقلا اكسبه ذلك محبة شعبه ورهبة اعدائه ولذلك لقب بالملك العادل وقيد شعبه بالخضوع لمناهي شريعة آدم لما كان بري فيها من الحكم لانها منسوبة الى السماء

فى عهد (اوشهنج) توصل الانسان لاكتشاف المعادن فى باطن الارض فاستخرج منها الحديد واستعمله فى بعض الآلات وانتشرت الزراعة فى عهده

وكان الناس حتي قبل عهد (اوشهنج) يسكنون في اكواخ من الحطب وأوراق الاشجار وبعضهم كان يسكن فى كهوف فى بطون الجبال فلما تم (لاوشهنج) الملك بنى له مدينة قبل أن علي انقاضها بنيت مدينة (بابل) أو هى نفسها فاتسعت في عهد البابليين وسميت باسمهم

الوثنية

أن تكن الوثنية أنكار لذات الله الا أنها اعتراف بالسلطة العليا التي يجب أن يخضع لها الانسان وقد خضع لها الناس فى صورة الأوثان . وكان من المستطاع الاهتداء الي صاحب تلك السلطة وهو (الله) لو انهم رأوا على رؤوسهم المرشدين من الرسل فى ذلك الظرف الذى تطرق فيه الي اذهانهم وكرة البحث عن صاحب السلطة الحقيقية رب الوجود وخالق الكون

فى ذلك العصر الغابر من تاريخ الانسان أتي علي البشريين عهد طالت أيامه . فبعد أن كانوا من عهد آدم ألي عهد الملك (اوشهنج) مهتدين ألي حقيقة وجود الله . ضرب عليهم النسيان سحابة من سحب الغفلة فنسوا الله ونسوا وجوده ولكنهم فى الوقت نفسه أخذوا يشغلون أفكارهم فى البحث عن سر هذا الوجود ولكن على قدر قواهم العقلية استطاعوا أن يتخيلوا الاله في هيكل الأوثان فعكفوا على عبادتها

شاعت الوثنية فى عهد (يرد) الذي تملك بعد (اوشهنج) وهي دليل تفكير طويل ولكنه انتهى بخطأ القوم فى الوصول الي حقيقة الخالق وهذا لا يمنع من اعتبار الوثنية عقيدة لا تدل علي جهل معتقيها وقتئذ بل على تنبه عقولهم للبحث فى خلق الكون

ومع انتشار فكرة الوثنية فى ذلك العهد بقيت الشريعة الوصية التي سنها الملك (اوشهنج) سائدة محترمة فيما يختص بالمعاملات

مقاومة الوثنية

لا بد أن تكون لله حكمة عالية في وجود عقائد تسيء الخلق حقيقته حتى يكون ذلك وسيلة لبعثة الرسل الذين يظهرون حقيقة وجوده ويوقظون الاذهان الغافلة عن عبادته وتوحيده . وهكذا انتصار دعوة الوثنية انتهى الى ظهور (ادريس) عليه السلام مبعوثا من عند الله لارشاد قومه وحثهم على الاعتراف بالله الواحد ساكن السماء .

لم يكن (ادريس) نبيا فحسب بل كان عالما وحكيما ومفكرا فهو اول من استعمل القلم وربما كان أول مخترع للرموز الكتابية حلا قا لتسهيل الكتابة غيره . وهو أول من فكر في البحث عن حقيقة الكواكب حتى اهتدى الى كنهها وفهم علومها كما انه اول من فكر في استعمال علم الحساب . وقيل أن نبوته كانت في عهد ابيه (يرد)

جاهد ادريس ضد الوثنية جهادا طويلا حتى استمال جانبا كبيرا من معتنقيها الى الاعتراف بالله ووحدانيته فكثرت أعوانه وأنصاره فكان منهم جنود جاهد بهم بني قايين الذين اغاروا على قومه من الجنوب فهزمهم ادريس واسر منهم كثيرا من الاسرى الذين استرقهم وجعلهم عبيدا وموالي ولكبار قومه فازدادت بذلك نار العداوة اشتعالا بين القايينيين وقوم ادريس

وقد نزل على ادريس عليه السلام نحو ثلاثين صحيفة ولكن الحكمة التي كانت مطابقة لشريعة آدم ولذلك لم تكن اعلانا لها ولم يكن في شريعة ادريس ما يخالف شريعة آدم الا مسألة واحدة هي تغيير قاعدة الزواج فقد

كانت شريعة آدم كما ذكرنا مقيدة نظام الزواج فى الاقتران بالاخت الابن التوأمين ولكن مضي الزمن وانتشار عدد البشريين وحاجه العشائر والقبائل الى الروابط والامراح دعا الى تخطى ذلك النظام ومنع الرجل الحرية فى التزوج ممن أراد بل كادت عادة زواج الاخت تهمل تماما. فقد تزوج (ادريس) من (هدانه) بنت (ياويل) وهى لم تكن اختا له .

قبل أن تنتهى أيام ادريس أوصى ابنه (لمك) بالمحافظة على شريعته عالم تنزل عليه شريعة غيرها . ونصح قومه بعدم الاختلاط بيني قابيل خوفة عليهم من الوقوع فى خطاياهم .

عودة الوثنية والصابئية

عاد القايليون بعد وفاة ادريس ينشرون دعايتهم ويغررون بحيراتهم ولكن بالرغم من نصائح (لمك) وتحذيره قومه لم يجد منهم غير اذان صماء فخالطوا القايليين وزحوا اليهم فى مواطنهم . فلما ولد (نوح) لم يجد مع أبيه غير أفراد قلائل من قومه ووجد أن عبادة الاوثان قد شاعت بين القوم من تأثير دعاية أهل الحنوب

ولم تستمل الوثنية بالسلطان بل ظهرت عقيدة دينية أخرى زاحمتها فى اجتذاب عقول القوم . زعيم هذا المذهب الجديد رجل من رعية (لمك) يدعى (صابيء) فقد اقنع فكره بان الله هو آله حقيقي ولكن عدم امكان رؤيته رأي العين دعته الى اتخاذ الملائكة آلهة تقربه الي الاله الحقيقى ولكن هذا الاعتذار فى عدم عبادة الله مباشرة اعتذار فيه الصعف نفسه وأن الملائكة الذين لجأ الى عبادتهم ليست لهم شخصية طاهره تمكنه من مشاهدتهم بالعين فالوثنية وأن لم تختلف عن الصابئية فى انها عقيدة خاطئة الا أن فيها الاعتذار الذى يبحث عنه زعيم الصابئية فقد كانت الاوثان في ظروف كثيرة رمزاً لوجود الله وأن كان الاكثر في تاريخها انها اتخذت آلهة أولي .

وكانت شريعة ادريس وآدم لا زال العمل بهما مقررا بين الناس في أحكام المعاملات كعقوبات السرقة والقتل وماشابههما الي أن جاء عهد نوح وجد فى شريعة جديدة مغايرة لبعض ما كان عليها .

الطوفان

نشأ نوح عليه السلام بين قوم يتقاتلون في سبيل نصرة مذهبين كلاهما عقيدة ضالة باطلة . فأوحى اليه الله ان يدعو القوم الى المعبود الحقيقي . ولكن عقيدة الكفر والضلال كانت قد تمكنت من عقولهم واستولت على قلوبهم فلم تؤثر فيهم دعوة نوح بالرغم من مثابرته قرونا ممدودة في نصحهم وارشادهم فلم يزدادوا الا ضلالا وطغيانا . فلما يئس من اصلاحهم دعا ربه أن ينصب عليهم نقمته وعقابه فكانت حادثة الطوفان التي ما توافيها مغرقين لم ينج منهم الا من آمن مع نوح واحتمى معه بالسفينة .

فلما انحسر الماء عن الارض ونزل اليها نوح ومن معه من قومه كان ذلك العدد كافيا لتكوين عشيرة بل عشائر وان كان بعض مؤرخي العصور الاولى الذين كتبوا عن حادثة الطوفان يذكرون ان كل من كان مع نوح في السفينة أصابهم الله بالعقم فلم يكن لهم ذرية من اصلابهم وانما تنحصر كل الذرية التي تكونت منها المجموعة البشرية في أولاد نوح الثلاثة (سام وحام ويافث) وهذا القول لا نستطيع الاخذ به بحال ما أذ لم يقم عليه أي دليل عقلي أو آثار القصص المذكور في الكتب السماوية أية اشارة الى ذلك . ثم لا يمكن العقل أن يسلم بان قوما آمنوا بربهم وناصروا نبيه نوح وشاركوه في تحمل الاذى والاضطهاد وبعد ذلك يحاربهم الله بالعقم ! حقا أن ذلك غير معقول وألا لكان وسيلة للشك في عدالة الله وهذا بعيد لا يمكن التسليم به

فاذا ما سلمنا بأن رواية العقم هذه غير حقيقية وجب أن نبعد عن عقولنا فكرة أخرى وهى انقطاع أثر نسل قايل في حادثة الطوفان . فلم لا نصدق أن نسل قايل لم ينقطع وأن له بين الشعوب والامم من تربطهم به رابطة النسب . والتصديق بذلك الرأي أقرب الي العقل والضمير من التصديق برواية انقطاع نسل من كان مع نوح فى السفينة ولقد علم لنا باجماع الرواة أن ادريس النبي لما حارب بني قايل اتخذ من أسراهم أماء وعبيدا كانوا فى حاشيته وبالطبع كانوا هم أعوانه وأنصاره والمعقول أن يكون العبد ملازما لسيده متتبعا طريقه الذى يسير فيه على هذا الفرض (وهو الاصح) كان من سلالة هؤلاء الاسرى موالي لنوح حملتهم رابطة التبعية على التصديق بنبوته واعتناق مذهبه فاحتملهم معه في السفينة فكانوا من الناجين . وعلى مارأينا من عدم قطع تناسلهم نشأت منهم ذرية اندمجت بذرية سام ابن نوح وذرية أخويه وجماعته .

ولما كان من الممكن حصر ذرية سام فى شعوب معروفة مثل العرب والفرس ومن ينتسب اليهما من الشعوب الصغيرة وذرية حام في السودانيين والبربر وذرية يافث فى بعض شعوب اوربا وشمال آسيا كالمغول والقوط والتاليين . على ذلك القياس نستطيع أن نعرف لمن لا علاقة له بهذه الشعوب من الامم الاخري القاصية في الشرق نسب وصلة الي اولئك الذين نجوا مع نوح غير أولاده الثلاثة وعلى هذا نري أن حادثة الطوفان لم تضيق دائرة البحث فى معرفة أصل من تناسل منهم البشر بل هى لا تزال واسعة ولا يزال لنوح شركاء فى نبي الامم والشعوب

على أن التغير الوحيد الذي حدث بعض الطوفان أنما هو تكوين الامم تكوينا حقيقيا ادي الي انتظام الحركة الكونيةفظهرت دولذات شأن عظيم في التاريخ مثل العرب والفرس والبابليين والاشوريين والمصريين وغيرهم من الشعوب التي كمرت بالظهور في ميدان الحياة . ولقد تركت كل من تلك الدول اثرا في تاريخ العمران لايجمل معه اغفـال ذكر شيء من تاريخها لولا اقتصارنا في البحث عن فكرة واحدة . هي فكرة النظم الاجتماعيـة . والظروف التي ظهرت فيها تلك النظم . ولما كان أعظم حاجب يحجب البحث فيه عن تاريخ التقاليد والشرائع أنما نراه في تاريخ العرب في العصر الجاهلي فقد رأينا أن نكتفي بما دوناه من البدة التاريخية في تاريخ الانسان الاول الى عهد الطوفان

العرب

يمكننا أن نعين مبدأ تاريخ الامة العربية على وجه التقريب من عهد عابر اذا استثنينا العرب البائدة اذ لم يكن بينهما رابطة سوى انهما يتصلان عند سام ابن نوح . فان (قالغ) رأس العرب المستعربة و (قحطان) رأس العرب البائدة كلاهما من ولد (عابر) ولو علمنا أن الاخوين استقل كل منهما عن الاخر لدام من دواعي المناسبة عرفنا كيف أنشأ كل منهما أمة وشعبا قائما بذاته كان له شأن يذكر في تاريخ أمة العرب . وذلك الخلاف بين بني قالغ وبني قحطان حدا بكل من الفريقين الى استنباط لغة خاصة واتخاذ تقاليد وعادات تميزه عن الآخر متمشية مع الجو والبيئة والظروف التي يكون فيها القوم تبعا لحالة التنقل والارتحال التي اتخذوها وسيلة للعيش

كانت لغة القحطانيين هي العربية وان كنا لا نستطيع ان نعين بالضبط العصر الحقيقي لمبدأ هذه اللغة فربما لم تكن من اختراع القحطانيين بل اخذوها عن اسلافهم . ولو احتملنا رجوع اللغة العربية الى عهد آدم فليس هناك من الادلة ما ينفي ذلك الاحتمال ويبعد عن أذهاننا تلك الشكوك

في زمن ابراهيم عليه السلام حدث ما حمل بني قالغ على الاندماج ببني قحطان وتكوين قبيلة من ذلك الاندماج وهي العرب المستعربة . وذلك ان اسماعيل حينما نفاه والده بارض الحجاز مع والدته وفقته الظروف للاختلاط باحدى قبائل القحطانيين وهي قبيلة (جرهم الثانية) فتزوج منهم اسماعيل واستعمل لغتهم العربية حتى صارت لسانا له ولاولاده من بعده الذين اطلق عليهم العرب

المستعربة واليهم ينتسب عدنان جد النبى صلى الله عليه وسلم
ومن أشد القبائل التي نشأت من تلك الدول العربية .
طسم وجديس وعمليق وعاد وثمود . من العرب البائدة وكانوا مشتتين
فيما بين الحجاز والشام ونجد واليمن . وقبائل حمير وكهلان وكنده وطي .
من العرب العاربة . وكانوا يسكنون اليمن ثم انتشروا فى انحاء بلاد العرب
وقبائل مضر وربيعة وأنمار واياد وهم العدنانيون بنو اسماعيل بارض الحجاز

الزواج فى الجاهلية

كان نظام العائلة فى الجاهلية قريب المشابهة به في الاسلام ، فقد كانت عندهم الخطبة وعقد النكاح وأن كانت لهم فى اتخاذ الزوجات عادات لم تكن مستحسنة كزواج الرجل من زوجة ابيه ويسمى ذلك الزواج (نكاح المقت) و (نكاح المتعة) وهو اتحاد الزوجة لمدة معينة . كما كان الجمع بين الاختين من المألوف عندهم وأن لم تذكر لنا حادثة معينة مشيرة الى ذلك ولكننا نعلم ان شريعة ابراهيم عليه الاسلام لم تحرم الجمع بين الاختين وقد كانت تقاليد تلك الشريعة شائعة بين العرب وان تناسوها من الوجهة الدينية . ولقد جمع سيدنا يعقوب بين الاختين فقد تزوج من ابنتي خاله (لايا) و(راحيل)

وكان من الانظمة التي بالغ العرب فى التمسك بها عصبيتهم فى الزواج فلم يكن من اللائق ان يروج الرجل ابنته من غير عائلته ومادام لها ابن عم هو أولي بها من رجل غريب عن العائلة أذ كان الشاب يعتبر نفسه المالك الحقيقى لابنة عمه لا تزف لبعل سواه الا بارادته وبعد تنازله . وهذه عادة لا بأس بها بالنسبة لغيرها من عادات الزواج فى الجاهلية .

وكانت الزوجة فى الجاهلية ليست لها منزلة الزوج ومكانته وان كانت له ساعدا قويا فى ظروف كثيرة فقد تراها فى الحرب جابا من حوانب الدفاع ان لم يكن بسلاحها وبما تبثه فى قلوب الرجال من عواطف الحمية والشجاعة لأن الرجل كان يري العار فى تخاذله امام زوجته أو خطيبته . كما يري الفخر في أظهار بطولته امامها

ومن اهم ماحدث فى تاريخ الزواج في الجاهلية أن احد ملوك جديس

دفعته نزعة الظلم وشهوة الفجور الي سن نظام حديد يقضى بأن لاتزف عروس من جديس الى زوجها الا بعد ان تقدم اليه اولا ليفتض بكارتها. فصادف ان تزوجت عفيرة بنت عباد فذهبوا بها يوم الزفاف الى الملك، فلما دخلت عليه قضى منها عاينه فخرجت الي قومها فى دمائها وقد مزقت ثيابها كاشفة عن عرصها المغتصب وهى تقول

لاأحد أذل من جديس أهكذا يفعل بالعروس ،
يرضي بذا ياقوم بعل حر أهدى وقد أعطى وسيق المهر

ولما وصلت قومها وقفت بينهم بحالتها المؤلمة تقول .

ايجمل مايؤتي الي فتياتكم وأنتم رجال فيكم عدد النمل
وتصبح تمشي فى الدماء عفيرة جهاراً ورفت فى النساء الي بعل
ولو أننا كنا رجالا وكنتم نساء لكنا لا نقر لذا الفعل
نموتوا كراما او اميتوا عدوكم ودبو النار الحرب بالحطب الجزل
والا فخلوا بطنها وتحملوا الى بلد تقفر وموتوا من الهزل
فللبين خير من مقام على الأذى وللموت خير من مقام علي الذل
وان انتم لم تغضبوا بعد هذه فكونوا نساء لا تعيبون بالكحل
ودونكم طيب النساء فانما خلقتم لأثواب العروس وللعسل
فمعداً وسحقا للذى ليس داعما ويختال يمشي بيننا مشية الفحل

فأهاج ذلك شعور القوم واثار عواطفهم وقام الأسود بن عباد اخو عفيرة ودعا قومه الى رفع ظلم عمليق عنهم فاتفقوا علي عمل وليمة للملك فلما حضر مع خاصته واعيان قومه عاملوهم اثناء الطعام واحاطوا بهم حتي اقتلوهم . . .

الولادة

اذا وضعت الزوجة غلاما ذكراً يكون ذلك يوم بشري وسرور تقام فيه الافراح وتذبح الذبائح وتولم الولائم ويرتفع قدر الزوجة عند زوجها بخلاف ما اذا كان المولود بنتا فقد يكون يوم حزن وبلاء ترى فيه الزوجة من اعراض زوجها ما يبغضها في معاشرته لما تلاقيه منه من الذل والمعايرة بسبب طفلتها . . .

ومن العادة التي شاعت في الجاهلية وأد البنات أو تهين في الحياة فيرعين الأبل لايهتم بأمرهن ولا يفكر في شأنهن . ولكن اذا ما كبرت البنت وترعرعت تحولت عاطفة الوالد من كراهيه الي حب يزداد تبعا لتفتح نباهة البنت وجمالها .

***

وكان الوشم معروفا في الجاهلية وشائعا بين النساء خلافا لمن يقدم زمنه الى مابعد الاسلام واليك دليل على وجوده في الجاهلية ماذكره طرفة ابن العبد في قوله :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

الختان

عرف الختان في الجاهلية من عهد ابراهيم عليه السلام فاتخذه العرب عادة جارية . وكانوا يختنون الطفل قبل بلوغه الحول الاول . كما كانوا يختنون البنات وان كانوا اقل اهتماما بهن في ذلك لضعف مكانتهن

الميراث

كانت قاعدة التوارث في الجاهلية غير مقيدة بنظام خاص بل كان ذلك متروك الى ارادة المورث ورغبته فأما ان يتحالف رجلان علي ان يكون لأحدهما ما للآخر من المدافعة والمطالبة بالدم فى حالة قتل احدهما فمن مات منهما قبل حليفة آلت اليه ثروته وميراثه ثم كانت عادة التبني متبعة عندهم

فكان أذا تبني الرجل ولدا من غير صلبه ورباه بين أولاده صار للولد الحق فى ميراث مربيه كما عليه ما على اولاد مورثه من الواجبات

وقد يغالي بعضهم فى حرمان اولاده الصغار وزوجته من ميراثه ويهبه لمن اشتهر بالبطولة والشجاعة من قبيلته وكان للفرسان في الجاهلية ثروة طائلة تأتيهم من ذلك الطريق .

الطلاق

كان عقد النكاح فى الجاهلية بيد الرجل ولذا كان بيده أيضا طلاقها .

وكان الطلاق علي انواع منها .

(طلاق المراجعة) فكان الرجل يطلق زوجته حتي اذا بانت راجعها ولم يكونوا مقيدين بمرات معينة فى الطلاق ولذا كان الرجل يطلق زوجته ويراجعها مرات متعددة حتي كانت المرأة اسيرة فى يد زوجها . ولكن كان اعيان العرب يستهجنون تعدد الطلاق والمراجعة فلم يكن الرجل الشريف يطلق زوجته اكثر من ثلاث مرات وبعدها لايقربها . وكانت هذة شريعة ابراهيم عليه السلام

(طلاق الظهار) وهو الانفصال النهائى بين الرجل وزوجته فلا تحل له بعد . . . وذلك بقوله لها « انت على كظهر أمي »

(طلاق الايلاء) وهو ان يطلق الرجل زوجته لمدة معينة فلا يجوز ملامستها حتي تنقضى هذه المدة

ولم يكن للمطلقة الحق فى الزوج الا بعد وفاة المدة المعروفة عندهم . وأما من توفى عنها زوجها فكانت عرضة سنة كاملة تمنع نفسها أثناء ذلك من التزين بزينة النساء . كما سنبين ذلك فى العادات المنسوخة

عقوبة المجرم

كانت أذا وقعت جريمة من جرائم القتل أو السرقة أو غيرها وحامت الشبهة على رجل من قبيلة المعتدى عليه أو قبيلة أخرى يطلب صاحب الحق من شيخ القبيلة التي ينتمى اليها المتهم فتعقد لذلك هيئة قضائية برئاسة الشيخ وعضوية بعض اعيان القبيلة . فاذا ثبتت أدانة المتهم طبقت عليه الأحكام المتبعة وهي.

(قطع اليد) على السارق

(الرجم) علي الزانى أو الزانية

(القتل) علي القاتل عمداً

وقد يستبدل حكم الاعدام بدفع فدية لأهل المقتول وهى الف بعير اذا كان المحكي عليه من أشراف العرب ومائة اذا كان من عامتهم. وقد يعجز المحكوم عليه احيانا عن دفع الدية لعدم القدرة وكانت تدفعها له أفراد قبيلته متعاونين لانقاذه من عقوبة الأعدام . وكان أمير القبيلة هو صاحب

الحق فى اصدار الحكم وتنفيذه كما كان للمحكوم عليه الحق فى استئناف الحكم بتقديم ضمانة كافية . أذا كان لديه أدلة يريد تقديمها لنفى التهمة عنه . . .

هتك العرض

قل أن تحدث جريمة من هذا النوع فى الجاهلية والا فقد تكون مذبرة الويل والحرب بين قبيلة المعتدى وقبيلة المعتدي عليها قد تفني فيها مئات الرجال انتقاما لعرض البكر ودفاعا عن شرف القبيلة وسمعتها

العادات المنسوخة

وهل هناك تشريع أجل وأعظم من القرآن وقد طهر نظم التقاليد والعادات الجاهلية مما كان يشوبها من أمور كانت متفشية بين قبائل العرب ولكنها كانت نقصا وعيبا يشوه جمال الاخلاق البدوية الكريمة . والقرآن كما سنذكر قانون خضع له العرب ودفعهم هذا الخضوع الي التخلي عن عقائدهم وعاداتهم التي قضى القرآن ببطلانها أو رأى العرب استهجانها فاطلوها . وأهم تلك العادات

(١) الكهانة وهي الاخبار عن الغيب اذ كان الكهنة يستعينون بالشياطين (١) علي استراق السمع من السماء وقد كان فى الجاهلية كهنة يعتمد العرب كلامهم

---

(١) وتؤيد هذه الرواية قوله تعالى (وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا)

ويثقون بأخبارهم . واعجب ماوصل الينا عن طريق الرواة ان هند ابنة عتبة بن ربيعة كانت زوجة رجل يقال له الفاكه بن المغيرة المخزومى . وكان له بيت خاص للضيافة يأوي اليه الناس من غير اذن . وصادف ان الفاكه اصطحع مع زوجته هند في دار الضيافة في يوم لم يأو اليه أحد ثم نهض الفاكه من حوار زوجته وخرج لقضاء حاجة له ثم آذن رجلا ممن اعتادوا ارتياد البيت اقبل كعادته ودخله فلما أبصر هند وحدها مدبرا فابصره الفاكه فدا خله الشك فى زوجته وأقبل عليها فركصها برجله وهو مدفوع بغضب الغيرة فاستيقظت من نومها . فقال لها ـ من دا الذي خرج من عندك ـ فقالت لم أر أحد وانت الذى ابهتني ـ فقال لها ـ ادهى الى بيت ابيك فأقيمى عنده ـ فلما ذهبت هند الى بيت أبيها وفشى الحديث حول هذا الحادث بين العرب تكلم عتبة بن ربيعة والد هند مع زوجها الفاكه وقال له ـ أنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمي الى بعض كهان اليمن ـ فخرجا فى وفد من قومهما الي اليمن يقصدان احد كهنتها ومعهما هند بين بعض النسوة فلما قاربوا موضع الكاهن قالت هند لأبيها ـ أبكم تأنون شرا يصيب ويخطئ ولا آمنه ان يسمتي فيسما يكون علي سبة ـ فقال أبوها سأحذره لك ـ وصفر لفرسه ـ حتي ادلى أدخل فى احليله حسكة ـ فلما دخلوا على الكاهن قال عتبة . أما قد جئناك فى أمر وقد جئناك حبأ احترك به ـ فانظر ماهو ـ فقال الكاهن (تمرة فى كمرة) فقال عتبه ـ أريد أبين من هذا ـ فقال (حسكة برقى أحليل مهر) وقال له عتبه انظر فى أمر هؤلاء النسوة فجعل الكاهن يدنو من كل منهن فيضرب يده على كفها و تقول ابصى عتي انتى الي عند دال لها (ابيضى

غير رسحاء ولا زابة . ولتلدن ملكا اسمه معاوية) فاعتبط الماكه لذلك وقام اليها مرحا لزعمه أنه أب ذلك الملك فأخذ بيد زوجته ولكنها جذبتها منه بكبرياء وأهة وقالت ـ اليك عني ! فوالله لاحرص بي ان يكون من غيرك فطلقت منه وكان ماكان من تزوجها من أبي سفيان بن حرب فولدت له معاوية وصدق تنوّ الكاهن اذ انتهي الامر بمعاويه فدامت له الخلافة وملك المسلمين كما سيأتى

ومما يدل علي مقدار مكانة الكهنة ان جماعة منهم اخبروا ببعث النبي صلي الله عليه وسلم قرب ظهوره منهم الراهب بحيرا وسطيح الكاهن وقس بن ساعدة الايادي خطيب العرب المشهور فى العصر الجاهلي وسيف بن ذى يزن . فكل هؤلاء اشاروا الى مبعث النبى وصدقت تنآتهم

(٢) الزجر والطيره . كان العرب اذا أرادوا فعل أمر أو تركه زجروا الطير حتي يطير . فان طار يمينا كان له حكم وان طار شمالا كان له حكم وان طار اماما كان له حكم وان طار وراءكان له حكم ولذا سميت الطيرة وكان اشهر الطير والمعتمد المتفاؤل بها الغراب ثم تعدوه الي بعض الحيوانات وكذا الجماد ـ فى حال حدوث كسر او نحوه . وان لم يرد فى القرآن نص صريح بابطال الزجر والطيرة ألا أن السنة قضت ببطلان حكمها بقوله صلي الله عليه وسلم (أقروا الطير فى وكناتها)

(٣) الميسر . وهو ضرب من القمار كانوا يستعملونه في اقتسام لحوم الذبائح بحساب اقداح يضربونها وكان لكل قدح نصيب معلوم . وهى احدي عشر قدحا سبعة تربح ان فازت وعليها الغرم ان خابت وأربعة تعقل بها القداح

وهي لاترع ولاتخسر . فالسبعة ذات القيمة هي . الفذ والتوم والرقيب والحلس والنامس والمسبل ثم المعلي وهو اوفرها حظا ولذا ضرب به المثل فقيل (القدح المعلي)

(٤) الازلام . وهي ضرب من الطيرة وهو أنهم كانوا اذا أرادوا فعل أمر أو رغبوا فى معرفة ما له من النجاح والفشل أخذوا اقداحا مكتوبا على بعضها ـ افعل وعلي بعضها ـ لاتفعل ـ وعلى البعض منهم أولا ـ وغيرها من الفاظ التفاؤل المتباينة المعني فاذا اراد أحدهم سفرا مثلا أتى سادن الاوثان فيضرب له بتلك القداح ويقول (اللهم أيها كان خيرا له فاخرجه) فما خرج له وجب عليه العمل به . وكان اذا اختلف رجلان من العرب على حق اختار كل منهما قدحا باسم خاص فمن خرج قدحه فهو صاحب الحق.

والميسر واقتسام الانصبة بالقداح والازلام ورد فى القرآن نص صريح ببطلانها وذلك في قوله تعالي (يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)

(٥) البحيرة. وهي ان الناقة اذا انتجت خمسة ابطن عمدوا الي الخامس بشرط أن يكون انثي فشقوا أذنها وتركوها فلا يحمل عليها شيء ولا يجز وبرها وتكون البانها للرجال دون النساء فان ذبحت لاتذكر عليها اسم الله

(٦) السائبة. وهي ترك الرجل بهيمة أو عبدا مثلا فيكون الانتفاع بذلك وقفا علي جميع الرجال دون النساء

(٧) الوصيلة. وهي ان الشاة اذا ولدت سبعة ابطن أخذوا السابع فان كان ذكرا ذبح وأن كانت انثي تركت وان كانت البطن السابعة توأمين

تذكراً وانثي يقولون حينئذ (وصلت أخاها) واصبح ذكرها حراما ولدالاتي للرجال دون النساء

(٨) الحام . وهو اذا صار للجمل عشرة ابطن من اولاده قالوا حمى ظهره) فيترك ولاينتفع به في شيء ولا يمنع ماء ولا مرعى

والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام ورد النص القرآني ابطالها في قوله تعالي (ماجعل الله من بحيرة ولاسائبة ولا وصيلة ولا حام)

(٩) اعلاق الظهر . كان الرجل اذا تكامل عدد أبله مائة عمد الى البعير المكمل للمائة فيرع شيئا من فقراته ويعقر سنامه حتي لايركب ويسمي ذلك اعلاق الظهر ومن رأى البعير علي هذه الصورة علم ان ابل صاحبه قد بلغت المائة

(١٠) التفقئة والتعمية . كان الرجل اذا باعت ابله الما فقأ عين المحل . وان زادت عليها اعماه ففقء العين الاخرى وفي زعمهم ان ذلك يدمع العين عن الابل

(١١) رمي البعرة . اذا مات زوج المرأة دخلت مخدعها وحلست ثيابها ولبست ثيابا خلقه ولا تتطيب حتي يحول على موت زوجها حولا كاملا . ثم يؤتى لها بدابة فتمسح بها . وكل حيوان تمسح به لا بد أن يموت (١) ثم تعطي بعرة بعد ذلك فترميها . ثم هي بعدئذ في حل من أمرها تلبس ماتشاء وتستعمل ما تريد من طيب أو سواه — وقد ورد في القرآن نص ببطلان ذلك بقوله تعالي « والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة أشهر وعشرا » وهذا تحديد لمن مات عنها زوجها وهو النظام الذي

---

(١) وهذا مما يستوجب الدهشة وهو من الادلة على أن المصريين وحدهم لم يكونوا أهل الحجاب وغيرهم من شعوب حوالهم أكثر دهشة وعراقة

اتبع فى الاسلام

(١٢) وأد البنات . وهي عادة لم يكن أحل منها على مقدار غيرة العرب وخوفهم من العار وان كان بعضهم يقصد بالوأد ملاقاة الفقر — وكان أول من سن هذه السنة قيس بن عاصم المنقرى وقد كان من أعيان قومه وذوى المكانة فيهم . وسبب ذلك ان النعمان بن المنذر غزا قوم قيس وسبي نساءهم وأولادهم فلما انتهت الحرب وطلب أهل السبايا بناتهم قال النعمان كل امرأة اختارت أباها ردت اليه وكل من اختارت صاحبها تركت معه . فكلهن اخترن آباءهم الا ابنة قيس فانها اختارت صاحبها عمرو بن الجموح فنذر قيس بن عاصم أنه لا يولد له ابنة الا قتلها مدفوعا بحمية الغيرة على شرفه وعرضه ومن ثم صارت عند القوم عادة من عاداتهم العامة . ولكن القرآن أبطل تلك العادة سواء كان الدافع اليها العار أو الفقر بقوله تعالى (واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت) وقوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا)

(١٣) حمل اللايا . اذا مات الرجل يشدون ناقته الى قبره ويوثقون رأسها الى حلمها وهي مخطاة مرذعتها فاذا استطاعت التخلص من عقالها لم تمنع ماء ولا مرعى . وكان يزعم العرب أن الناقة بهذا العمل تحشر مع صاحبها الميت ليركبها

(١٤) الاخذ بالثار اذا قتل رجل حرم على بقية قومه أن يكفنه حتى و ... بثاره

(٥) [illegible] الاسلام [illegible] أن الحيض من الاذى
[illegible] أن [illegible] ومن لشعرائهم
[illegible]

(١٠) [illegible] أو حيض السمرة . كانوا يعدون
[illegible] الحيض [illegible] كل
[illegible] تقدم الحيض حيض السمرة
[illegible] أو الصفرة .
[illegible] على الدم
[illegible] كانوا يعدون [illegible] الاحرف
[illegible] .

وكان [illegible] العرب [illegible] كذى العرين عيره وهو راكع
(١٩ ويطأ [illegible] المرأة المنفلات (١) اذا وطئت
قتيلا سرا من أولادها . قال شمر بن أبي حزم فى ذلك .

يطل معاليت النساء بطأنه يقلن ألا يلقى على المرء مئزر

(٢٠ / مسح [illegible] الطروق سبع مرات ليسكن هيجها

(٢١) الفعل . وهو فى عرف من يحسنون قدرته على الكلام وابانة

---

(١) المرأة المنفلات وهى التي لا يبقى لها ولد

ما يأتي به الشعراء من الاعمال . وهو بهذا الوصف يريد به وصف أسماء ما تأتي الرسل وما يتبعها من وحوش وقد أدخل أبو الطيب أشياء الطبيعة وما رأى الرائي أراد بصدره وعاين من عجائب حادث جعله الى قوله في ليلى

أن ليلاي في الظعائن ليلى
أم وما بالها تروم النزولا
وكلانا يلوي أزمة شوق
نحو ليلى لو أنها ليلى ليلى
ليت شعري أقلن حاجة نفس
أم قطعن الفلاة للتعليل
سرن أو زلن من عقيق فحزوى
فالنقا فالعقيق فالخلصاء

(٢٢) الظعائن . كانوا يزعمون أن الجن تحمل على ظهور الظباء فيصيح الراعي فلا يقع على شيء حتى يرى ما تحته قال ذو الرمة

ياظبية العيس ما شئتي رمنصتي اصرك حتى تقول الركب للركب

(٢٣) ذهاب حصر الرحل كانوا يزعمون أن الرحل اذا احمر رأى وذكر احب الناس اليه ذهب عنه الحصر

(٢٤) رمي بن الصيد . كانوا يزعمون أن الصيد اذا شد عرق منه في عين السهم وقال (أبدلني بها أحسن منها) لم يصب أصابه ملح ولا نوح . قال طرفة بن العبد .

بدلته الشمس من منبته برداً أبيض مصقول الغدر

(٢٥) عرق الفرس المهقوع (١) كانوا يزعمون أن الرجل اذا ركب فرسا مهقوعا وعرق تحته يعلم أن حليلته قد اعتلت (٢) . قال الشاعر .

اذا أعرق المهقوع بالمرء اعظت حليلته وازداد طير عجانها

(٢٦)حز ناصية الاسرى . اذا أرادوا اطلاق أسيرهم يجزون ناصيته قالت الخنساء .

جروا نواصي فرسانهم وكانوا يظنون أن لاتجزا

* * *

هذه بعض عادات العرب في الجاهلية ومع أن قانون الاسلام وحضارته قضت عليها لعدم التوفيق بينها وبين العقول المستنيرة وتنور الاسلام . الا أننا مع الاسف والعجب لانزال نرى أعقاب تلك العادات شائعاً في كثير من الشعوب الاسلامية وخصوصا في مصر حيث لاتزال العامة يعتقدون بصحتها ويؤمنون بها كما كان يؤمن عرب الجاهلية قبل ثلاثة عشر قرنا

---

(١) الفرس المهقوع هو الذي تكون حول عنقه دائره يقال لها الهقعة

(٢) اعتلت ، طلبت الرجال

الديانة

كانت شريعة ابراهم قد شاعت بين العرب فاعتنقها كثير منهم كالقحطانيين والعدنانيين وكانت أحكام تلك الشريعة هى المعمول بها . ولكن لطول العهد عليها تناساها أغلب قبائل العرب وعدلوا عن الحقيقة المقدسة . فاختلفوا فى اتخاذ الآلهة فعبد بعضهم الكواكب والبعض عبد الليل والنهار لاعتقادهم أن الاول اله الشر والثانى اله الخير وسمى هؤلاء « الثنويون » . ومنهم من انكروا وجود الله على أى نوع وانكروا البعث والحساب وهم « الدهريون » .

وكانت اليهودية قد ظهرت واعتنقها المسيحية فاعتنقها بعض القبائل وعملت بأحكامها وكانت الوثنية قد شاعت فى قريش وكثرت عبادة الاصنام وذلك لما دخل عمرو بن لحى مكة كان أول من أقام عليها الاصنام وشايعته اغلب العرب حتى عظم شأن الوثنية واستقلت كل قبيلة بصنم خاص لها . وكان أشهر هذه الاصنام (اللات) و(العزى) و(نسر) و(مناة) و(يغوث) و (يعوق) و (هبل)

• لقد أدى تعدد العقائد الدينيه الى خلق فتن ومنازعات بين القبائل وخصوصا عند اصطدام المسيحية باليهودية وتأثر انصار الديانتين وتعابدهم فحدث أن (ذا نواس) أحد ملوك الحميريين باليمن تشيع لليهودية وناصرها فلما مضى نحو (نجران) امره واعتنقوا المسيحية اضطهدهم وعذبهم وعمل لهم اخدودا من نار ألقاهم فيها أحياء حتى أفناهم ولم ينج منهم الا رجل

يقال له (...) عمر أل النجاشي ملك الحبشة وكان مسيحيا فطلب منه
[illegible] ذي يزن . فأرسل النجاشي جيشا بقيادة (أرياط) الى اليمن
[illegible] وملك عربيا في البحر وأستولى ارياط على البلاد ثم حكمها
[illegible] وحبشه (ابرهة) كان ما كرا غادرا ظالما . فقد حكى انه بعد
[illegible] ملك اليمن أعطى [illegible] ذي يزن من أمراء اليمن فاغتصب
[illegible] وتزوج [illegible] فولدت له « مسروق » وكانت
[illegible] « أنا ابن الضحيان الذي وعدته النصوه فاذهب بابك فتلك
[illegible] وذبحه حتى أمده جيش حارب به الحبشيين
[illegible] وعاد اليه ملك اليمن .

الحروب والغارات

كانت جزيرة العرب في ثوار دائم وغارات لا تعطم حتى سكت الحروب قوى القبائل فطلتهم عن محاكاة بعض الشعوب التي أخذت شوطا بعيدا في طريق العمران والحضارة كالمصريين والرومان واليونان . والحق أن تلك الحسارة التي خسرها العرب بسبب انصرافهم الى المنازعات قد استعاضوا عنها بمميزات ومكارم قل أن تجاريهم فيها أمة من الأمم المعاصرة .

فقد سمت شاعريتهم سموا كبيرا ترى منه جزيرة العرب بعدد يسير من الشعراء المجيدين في الشعر والآداب . كما أكسبتهم طبيعة البلاد وتقلب حياتهم البدوية عادات وطباع اعتبروها من مستلزمات قوميتهم فالكرم الفرط . والشجاعة المستهتر وحماية الجار . وحب الانتقام . كل تلك المحامد وغيرها قد جعلت من العرب في الجاهلية شبيه بنظم اجتماعية يرى فيها الخروج على أحكام الدين وعار يلتصق بصاحبه طول حياته

وأعظم الحروب شأنا في تاريخ العرب والتي كان لها تأثير مباشر في حياتهم القومية والادبية هي حرب ذي قار وحرب البسوس وسنأتي على ذكر كل منهما في الموضع المناسب

— ٤٠ —

الوحدة السياسية

هناك نتيجة ذات شأن خطير في تاريخ العرب . تلك نتيجة الثورات والحروب وصف القوى ثم عارة الحبشة على بلاد اليمن اعتماد على هـذا الاضمحلال والخور . ولو علمت كيف أن النير الاجنبى هو جذوة وطنية تلتهب نارها عند اشتداد ظلم الاجنبى لادركت ما ألت اليه الروح الوطنيه فى جزيرة العرب يوم وقعت فى يد (أبرهه) الحبشي وما كان العرب يومئذ ليحتملوا حكم الاجنبى وهم ممتازون بالآباء والانفة

استيقظ سيف بن ذى يزن من رقدة الطفولة واستقبل صحوة شبابه ولكنه وجد العرب تحت نير الحبشة وهـذا أمر يتنافى مع ما كان يسمع به فى طفولته من شمم العرب وأبائهم فكان لابد له من ان يتحرك أمام الشعور بالغيرة الوطنية وخصوصا لما علمه من اعتصاب أبرهة لوالدته كما أسلفنا واتخادها زوجة له فقام قومته وصاح فى وجه الحبشة صيحته فكانت حركة وطنية وكانت زعامة قوية تولاها سيف بن ذي يزن زعيما فنيا عرف كيف يعمل فى سبيل قضية العرب بعمل وتدبر فلم يعته أن الحروب الكثيرة الماضية ثم تحكم الاجنبى قد أنهك قوى العرب المادية . فليس من الحكمة أن يزج بقومه فى حروب قد لاتحسن عواقبها ولهذا رأي خير وسيلة يلجيء اليهـا أن يستعين بدولة قويه من الدول المتأخمة لجزيرة العرب فذهب الى دولة الرومان فخيبت رجاءه وثبت بعد ذلك أن احتلال الحبش لليمن كان بتشجيع حكومة الرومان .

فحول سيف بن ذي يزن وجهته الى ملك الفرس فأجابه الي سؤله وأحسن كسرى وفادته وبعث معه جيشاً عظيما حارب به الحبشة فهزمها وطهر بلاد العرب منها وبذلك عادت للعرب حريتهم ونصب الزعيم سيف بن ذي يزن ملكا عليهم

والى هنا لا نستطيع أن نقول أن العرب قد توحدت قواهم تماماً فان الدور الذى لعبه سيف بن ذي يزن مع الحبش واعاده البلاد منهم لم يصل بالعرب الي النتيجة المطلوبة بتمامها وانما تمكن العرب من استرجاع بعض قواهم المفقودة .. وكان النزاع بين القبائل لا زال أثاره باقية . وانما حدث حادث جديد يصح اعتباره أساس الوحدة السياسية التي حمت العرب وأشعرتهم بأنهم أمام دول أجنبية ليس فى استطاعتهم مقاومتها الا بقوة واحدة لا تتوفر لديهم الا بالاتحاد التام . . . . ، وذلك أن الفرس بعد وفاة سيف بن ذى يزن طمعت فى ملك العرب فبسطت سيادتها عليهم تنفيذا لسيدة المعروف من قديم وهو (السيادة للقوة) وتجاوز الفرس حد الاعتدال في معاملة العرب فقتلوا ملكهم (النعمان) وهو الامر الذى زلزل قواعد السلام فى البلاد وأهاج العرب ودعاهم الي الثورة متحدين متكاتفين . فقاموا على هذا النظام الحافل بالقوة فى وجه الفرس وحدثت بينهم حرب طاحنة لم يسمع بها العرس من قبل لانها كانت أول حرب انهزموا فيها أمام العرب وولوا من طريقهم مدبرين وهذه هي الواقعة المشهورة المعروفة باسم (حرب ذى قار)

وكان هذا العصر العظيم الذى ناله العرب سببا فى تذوقهم لذة الاتحاد والتحقق من مزاياه ولذا بدأوا يظهرون أمام الدول المجاورة فى مظهر وحدة قوية ذات وحدة سياسية وان لم تدم دعائم هذا الاتحاد الا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم كما سيأتي

الشعر الجاهلي

سنكتب عن الشعر في الجاهلية ولعلنا في عصر ظهرت فيه أفكار جديدة ربما أصحابها في انكار هذا الشعر الجاهلي وسواء كان دعاة هذا الرأي يذهبون الى ما يرون عن أمة نشأ بحث واستقراء أو انهم مدفوعون بروح الثورة على العرب وآدابهم شأننا الا أن سبيلنا في بحثنا مسلك الانصاف للعرب والخضوع للحقيقة والتاريخ . وبودنا أن أرجئ هذا الموضوع مرورا لا يشتم منه رائحة الهوى ولكننا بريئة الغيرة على الحق تدفعنا للتحكك بفكرة انكار الشعر الجاهلي وانتحاله ثم سأتي على ذكر كثير من أخبار شعراء الجاهلية وشعرهم

هذا الشعر الذي يقال باتجاه رأيه يحمل على أسماء من الجاهلية قد لا تكون لاعلمها مسمى . وكيف يستطيع طالب الادب أن يخضع لهذا الرأي وهو يعلم أن العصر الذي قيل باختلاق هذا الشعر فيه عصر مشحون بكثير من الامور التي تحول دون هذا الانتحال فالبيد الاسلامي أما عهد حافل بالحروب والغزوات التي استطال بتحدثها الدهر شعرا أفيشتغل هذا الغير وما ينسب اليه من شعر ثم اذا كان بعد سلام فالسلطان للادب والادباء . وما بطل شاعرا بلغ به حب التصحية لنظم ديوانا حافلا ببديع الشعر ثم يحمله تاجا مرصعا بالآلىء الادب ليتوج به رأس انسان كان له وجود في العصر الجاهلي أو لم يكن له هذا الوجود من قبل . ولن يكن

هذا الانسان القدائى الذي يضحى بملكته الشعرية فى سبيل عظمة انسان قديم بريء من قول هذا الشعر أو الوجود بريء من هذا الانسان ؟

وأطن فى هذا الدفع كفاية لاقناع من قد تضطرب عقيدته فى حقيقة الشعر الجاهلى بأنه لا انتحال فيه وأن أولئك الاشخاص الذين نسب اليهم الشعر الجاهلى هم أصحاب هذا الشعر وهم ناظموه ولعلنا نوفق الى ادراك حجة الاقناع التي نريدها من خلال بحثنا في تاريخ شعراء الجاهلية وأشعارهم والظروف التي ظهر فيها هؤلاء الشعراء

نشأة الشعر الجاهلى

أول عصر ظهر فيه الشعر مستعملا في القصائد والمطولات هو عصر مهلهل التغلبي من بني وائل (بخذ من ربيعة) وهذا رأى بعض من كتب عن تاريخ الشعر العربى ولكننا نستنتج من حالة شعر مهلهل نفسه المتبر وأمن الشعراء النظامين أن روح الحماس وحسن الاسلوب والصياغة فى شعره دليل على أنه كان يسير فى طريق مسلوك من قبل وألا لكان شعره غير مانراه وليدا ماشئا .

ولا يبعد أن يكون هناك شعراء فطاحل نظموا الشعر وقصدوه وكان له عندهم من المكانة والاهتمام ما كان له عند المعروف لنا من الشعراء غير أن ظلمة ذلك العصر الذي ظهروا فيه حالت دون وصول شيء من أخبارهم وأشعارهم الي الرواه ويذكر لنا أصحاب الرواية فى الشعر أسماء بعض الشعراء السابقين لمهلهل التغلبى ويؤكد هؤلاء الرواة أن أولئك الشعراء قالوا الشعر وبغوا فيه غير أن شعرهم كان أقرب الي المقطوع منه الي المطولات فمن هؤلاء الشعراء العمر ن عمرو بن تميم وأعصر ابن سعد بن قيس عيلان والاقوه الاودى وابن حزام .

ويشهد امرؤ القيس أن هناك شعراً قبل شعر حاله مهلهل فيه من المعانى والخيال مالم يسبق المتقدمين فى قوله .

سموحا على اطلال حول بذا بكى الدار كما بكي ابن خزام

اعتراف صريح بأن ابن حمام الشاعر الجاهلي القديم الذي ظهر قبل مهلهل للعلي هل الشعر وكي الديار كما بكاها امرؤ القيس ثم اليك قول عنترة العبسي - في مطلع معلقته

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

فهو يرى أن الشعراء الاقدمين لم يتركوا غرضا في الشعر يحتاج الى اصلاح

ثم قول زهير بن أبي سلمى

ما يدرك الحول الا حولا أمثالها من لحطا مكرورا

وفيه اعتراف بأن ما يقوله الشعراء لم يكن الا اعادة وتكرارا لما قاله شعراء سابقون . ولا نظن أديبا أو طالبا في الادب يعتد قول عنترة وزهير عائدا على من سبقهما من شعراء الجاهلية القريبي العهد بهم مثل مهلهل وطرفة ذلك لأن كلام عنترة وزهير يتكلم بلسانه وبلسان أهل جاهليته من الشعراء وهما انما يقصدان من سبق مهلهل من شعراء الجاهلية الاولى

مهلهل وحرب البسوس

ولما كان مهلهل(١)هو اول من وصل الينا خبره ممن نظموا الشعر المطول لا سيما وأن شعره كان صورة للعصر الذي وجد فيه وهو عصر دموى ثورى نرى أن مقتل كليب التغلبى ثم الحرب الطويلة التى تلك عاطفة أخيه مهلهل ومشاعره ثم العصبية القبلية التي تأثرت بها نفوس بني تغلب . كل ذلك كان شعر مهلهل التغلبي مرآة له . فقد كان شعر المراثى . شعر الانتقام . شعر الثورة ! ! والعصبية الجاهلية بتمام معناها تصورها لنا حرب البسوس . فان قتل جساس بن مرة البكري الكليب التغلبى حدث نتيجة انتقام لناقة قتلها كليب لسعد الحرمي وكان جارا لنفوس خالة جساس كما هو مشهور . فتلك الحدوة الصغيرة وتقصد بها قتل الناقة تودي بحياة رجل من أشراف العرب ثم تشتعل نار تلك الحدوة فتعم قبيلتين تتصلان بصلة القرابة والمصاهرة دليل على أن العصبية لا تقف الروابط الاخرى فى سبيل احماد نارها فقتل كليب حمى على بني بكر وبنى تغلب حربا قيل مكثت أربعين عاما

وكانت تلك الحرب الجاهلية الوطيس ذات أثر عظيم في أطهار عاطفة مهلهل واستظهار تلك العاطفة في شعره وتحت تأثير دم كليب وحرارة الانتقام طفق مهلهل شاعرا ثائر النفس تلهب ذلك فى مراثيه لاخيه التي منها

ت ليلى بالاعلين طويلا أرقب النجم ساهرا أن يزولا
كيف أهدأ ولا يزال قتيل من بني وائل يسمى قتيلا
عيبت دارنا تهامة فى الدهـ ـر وفيها سو معدن حلولا

---

(١) وهوالزير سالم وأطلق عليه زير النساء لكثرة محالسته لهن

فتساقوا كما أمرت عليهم بنهم يقتل العزيز الذليلا
فصبحنا بني نجم بضرب يترك الهام وقعه مفلولا
لم يطيقوا أن يبرلوا وبرلنا وأخو الحرب من اطاق النزولا
انتضوا معجس القسي وابرة نا كما توعد الفحول الفحولا
قتلوا ربهم كليباً سفاها ثم قالوا ما أن نخاف عويلا
كدبوا والحرام والحل حتي يسلب الخدر بيضه المحجولا
ويموت الحين في عاطف الرد م وتردي رماحنا والخيولا

فلو لم تكن في شعر مهلهل تلك القيمة لكان له الفخر حقا في اعتباره رأس الشعراء زمنا ولكن متانة شعره حرمت عليه أن يكون مخترع الشعر الجاهلي وأن يكون أول ناظميه

ولقد تتجلى لك ملكته الشعرية وتحس من نفسك بعاطفة الاكبار من تلك القوة في مهلهل حين تقرأ قصيدته التي رثي بها كليبا والتي يقول فيها

أهاج قذاة عيني الادكار هدوءا فالدموع لها انهمار
وصار الليل مشتملا عليا كان الليل ليس له نهار
وبت أراقب الجوزاء حتي تقارب من أوائلها انحدار
أصرف مقلتي في كل قوم تباينت البلاد بهم فغاروا
دعوتك يا كليب فلم تجبني وكيف يجيبني الرمس القفار
أجبني يا كليب جلاك ذم لقد جمعت مفارسها نزار
سعد لو انبيت بك كنت عبنا وبسرا حين يلتمس اليسار

أبت عيناى بعدك أن تنكما كأن قذى المنازل لها شعار
كأنى اذ سعى الداعى كليبا نصاير بين حدى الشرار
سألت الحى أين دفنتموه فقالوا لي بأعلى الحى دار
فسرت اليه من بلدى حثيثا وطار النوم واصطبح السرار
أنعدوا يا كليب معى اداما حسان الوجوه سجاح المرار
خذ العهد الأكيد على عمري بتركى كل ماحدوت الديار
ولست بجالع درعي وسيفى الي أن يخلع الليل النهار

ويعكر عليها جو الاقناع تلك الشكوك التي يثيرها جماعة ممن ينصدرون لافكار كثير من شعر مزنيل وهؤلاء الجماعة لايرون ما يستند عليه فى طعنهم أكثر من أن شعر المهايل المنسوب اليه له من جمال الاسلوب ورقة المعانى وسهولة الفهم مالا يتفق مع بداوة العصر التغلبي وطلقته مما يدل على استحالة هذا الشعر ونسبته الى مهايل زورا ونحن نرى أصحاب ذلك الرأى يجهل وعياء لانهم حكموا على شعر مهايل لا على نفسيته والعوامل التي أحدثت فى شعره ذلك التطور الذي نحن من المؤمنين به وبصحته

ولقد مر انى بعض أيام مهايل مرورا به كل الايجاز ولا نرى غني أنفسنا من حرج لو عدنا مرة حاشيا من شعر مهايل الذى قاله فى أغراض مختلفة

فى ذلك قوله من مراثي كليب وذكر مقتل الحريث بن عباد

أليلتنا بذي حسم أنيرى اذا أنت انقضيت فلا تحوري[1]
وان يك بالذنائب من أهيلى فقد أبكي من الليل القصير[2]

---

(١) ذو حسم موضع بعينه وري وحمى (٢) الذنائب المكان الذى قتل فيه كليب

كأن القرنفل يدا مسض ابغ على افاصته قر(١)
ولو بين المفار عن كلب لا حبر فالذمائب أى زبر(٢)
ويوم الشعبين لقرعينا وكيف لقاء من تحت السور
على أني تركت بواردات عجراً فى دم مثل السبر(٣)
هنك به بيوت بنى عباد ومض القتل أشفى للصدور
وعام اول مرة قد تركنا عليه القشعمان من النسور (٤)
على أن ليس عدلا بن كليب اذا طرد اليتيم من الجزور
على أن ليس عدلا من كليب اذا ماصم حار المستجير
على أن ليس عدلا من كليب اذا هب رياح الزمهرير
على ان ليس عدلا من كليب اذا بزت مخبأة الخدور

* * *

تسائلني أميمة عن أبيها وما درى أميمة عن صبير
فلا وأبى أميمة ما أبوها من الدهم المؤثل والحرور(٥)

---

(١) الد... القياس (٢) اشارة الى لعب ابن الذي لعب به كليب أخاه مهلهل ... يشير ميله الى محالفة الد... فلو بين قبر كليب لرأى كيف انتصر ابنه على أعدائه (٣) واردات ... يريد من الاباء التي تصدر عنها بغير ... بني بكر ، ويجيز هو ان تحرث بن عباد (٤) همام هو أخو حساس ... قتل الكثير من النسور (٥) انهم الابل ، والمؤثل الكثير أى أن كليبا لم يكن كالابل التي ...

ولكنا طعنا "قوم طعنا على الأنباج منهم والنحور(٦)
تكب الموم للاذقان صرعى وتأسفذ بالترائب والصدور(٧)
وكانوا قومنا بغوا علينا فقد لاقاهم لمح السعير(٨)

ومن قوله

ان تحت الاحجار حزما وعرما وقتيلا من الاراقم كهلا(٩)
فتاته دهل ملست براغش أو نبيد الحيين قيسا وذهلا
ويطير الحريق منا شرارا فينال الذرار نكرا وعجلا
قد فزعنا به ولا تأر فيه أو تعم السيوف شيبان قتلا
ذهب الصلح أو ترد كليبا أو تحلوا على الحكومة حلا
ذهب الصلح أو يردوا كليبا أو تنال الدماء هونا وذلا
ان تحت الحجارة والتراب منه لدينا علا علاء وحلا
عزو الله يا كليب علينا ان ترى هاتق دهانا وكلا

ومن قوله

ياحليلي ناديا لي كليبا واسلما انه ملاق كفاحا
ياحليلي ناديا لي كليبا ثم قولا له نعمت صباحا

---

(٦) الانباج جمع نبج وهو ما بين الكاهل والظهر (٧) الترائب جمع تريبة وهي ما بعد الترقوتين من عظام الصدر (٨) أي أن بني سكر كانوا أولاد عم بني تغلب فاعتدوا عليهم بقتل كليب (٩) الاراقم هم بنو بكر وبنو تغلب

ترك الدار صيفنا وتولي عذر الله ضيفنا يوم راحا
ذهب الدهر بالسماحة منا ياأذي الدهر كيف ترضى الجماحا
روح أمي ورويحها لقتيل من بني ثعلب ورويحا وواحا
يا قتيلا ثناه فرع كريم فقده قد أشاب مني المساحا
كيف أسلو عن البكاء وقوس قد تقابوا وكيف أرجو الملاحا ؟

ومن قصائده المحارة في هذا المعنى .

حيارت نو بكر ولم يهدلوا والمرء قد يعرف قصد الطريق
حلت ركاب البغي في وائل في رهط حساس شمال الوسوق (١)
يا أيها الجاني على قومه جناية ليس لها بالمطيق
جناية لم يدر ما كنهها جان ولم يصح لها بالحذيق
تقاذف بوما بآحرامه في هوة ليس لها من طريق
كان ركوب البحر ما لم يكن دا مصدر من تهلكات الغرق
ليس أمرؤ ثم يعد في بغيه عذابة محريق ريح خرق
كمن تعدي بغيه قومه طار الى رب اللواء الخفوق
الى رئيس الناس والمرتجى لعقدة الشد ورشق الفتوق
ان نحن لم تثأر به فاستحذوا شفاركم منا لحر الحلوق
أصبح ما بين بني وائل منقطع الحبل بعيد الصديق
ليس أخوكم تاركا وتره وليس عن ثطلابكم بالمفيق

---

(١) الوسوق . الحل (٢) الحريق . هو الشديد الهبوب

ومن قوله أيضا

بدلت أن النار بعدك أوقدت واستب بعدك يا كليب المجلس

وتكلموا فى أمر كل عظيمة لو كنت شاهدهم بها لم ينبسوا

واذا تشاورأيت وجهاً واضحا وذراع باكية عليها برنس

تبكي عليك ولست لائم حرة تأسى عليك بعبرة وتنفس

وقال يتهدد بني شمال

لما بغى الباغي كليبا أظلمت شمس النهار فما تريد طلوعه

قتلوا كليبا ثم قالوا « ارتعوا » كذبوا فقد منع الجراد هبوعه

كلا وأنصاب لنا عادية معبودة قد قطعت تقطيعا(١)

حتى أبيد قبيلة وقبيلة وقبيلة وقبيلتين جميعا

وتذوق حتفا آل بكر كلها وتهد منها سمكها المرفوعا

وترى سباع الربق أعيا وتحر أعضاء لهم وصلوعا

والحل تقتحم العيار عوالنا يوم الكريهة ما يرين رجوعا

قيل أن أول شعر قاله مهلهل عند ما بلغه مقتل كليب وقد رجع الى قومه فاستقبله النساء وهن يبكين ويولولن

كما سرسلي العواتق ان ترى بالامس خارجة عن الاوطان

فخرجن حيرى كليب حسرا مستيفنات بعده بهوان

---

(١) الانصاب . حجارة كانت تقيمها العرب في الجاهلية فيتقل عليها نبز الله وقت نحو الذبائح

حقر الكواعب كالظباء مواطلا اذ حان مصرعه ن الاكفان
يخمشن أدم الوجوه حواسرا من بعده ويعدن بالازان
ويقار . ن للمستصرخ اذا دعا أم من لخضب عوالي المران
أم من لأسباق الدبات وجمها ولعادحات نوائب الحدثان
فلأتركن به قبائل تعاب قتلي بكل قرارة ومكان

ومن مراثيه أيضاً

كليب لاخير في الدنيا ومن فيها ان أنت حاميتها فيمن يحاميها
كليب أي فتي عز وسكرمة تحت الصفاة التي ملوك ساميها(١)
في الناعي كاديا نقلت لهم مالت بالارض أرالت رواسيها
بيت السماء علي من تحتها وقعت وحالت الارض فاجابت من ينيها (٢)
أصحن منازل بالملا أندرست تبكي كابا ولم فرع أقاصيها
بالحزم والعزم كانا من طبائعه ما كل آلائه يقوم أحصيها
لما حر الكوم ما يثنك يطعنها والواهب المائة للحر ابرا يها
لقائد الخيل تردو في أعنتها رهوا ذا الحل بحت في تعاديها
من خيل تقلب ما باقي اسنتها الا وقد خضبتها من أعاديها
أثمرت قد أوحشت جوديلقة لاوحش منها ، قيل في مراعيها
يتفرز عن أم هامات الرجال كما والحرب يدعس الافراس حاليها

---

(١) الصفاة . الحجر الصلد ومعناه القبر (٢) حالت الارض . تغير حالها

ترمي الرماح بأيدنا فتوردها بيضا ونصدرها حمرا أسنتها
يارب يوم يكون الناس في رهج لها تراني على نفس كأبيها
مستقدما عصبا للحرب مقتحما نارا أهيجها حيا وأطفيها
لا أصلح الله ما من يصالحكم حتى يصالح ذئب الغز راعيها

كان مهلهل قد حضر وفاة السلان مع أخيه كليب قبل قتله فهرعا الاعداء فانشد مهلهل قصيدته التي يقول فيها .

لو كان ماء لان حية زاجرا لنهاه ذا عن وقعة السلان
يوم لنا كانت رئاسة أهله دون القبائل من بني حمدان
غضبت معدن عنها وكمينها فيه عمالة على غسان
فازهم عما كليب بعلعة في عمر بابل من بني قحطان
ولقد عصى عنها ابن حية مدبرا تحت المجاحة والحتوف دوان
ترك التي سحبت عليها ذولها تحت المجاح بذلة وهوان
ونجا بمهجته وأسلم فوه متسربلين دوالف المران
يعثون في حلق الحديد كأنهم جرب الجمال طلين بالقطران
نعم الفوارس لافوارس مذحج يوم الهياج ولا بنو همدان
هربوا العداة بكل أسمر مارن ومهند مثل الغدير يماني

* * *

كيف مات مهلهل

اختلف الرواة في كيفية موت مهلهل ولكن أقرب الروايات الى

الحقيقة ما مثل من أنه بعد ما هدمت الحرب قوى التعليمين والبكريين ، دخل على مهلهل يوما ربيعة بن الطفيل التغلبي فلما رأى ما به من تراكم الاوساخ الناشئ من عدم الاغتسال طوال سني الحرب قال .

— « أقسمت عليك أيها الرجل ، لتغتسلن بالماء البارد ، ولتبلن ذراعاك بالطيب »

فقال مهلهل « هيهات ! هيهات يا ابن الحافل ! هلمي اداً يميني وكفي باليسير التي آلت ؟ كلا أو أقصى من بكر أرى »

ثم زفر زفرة محزونة مهموم بأشد .

اد فى الصدر من كليب شجونا هاجسات تكاثر منه الجراحا

(القصيدة ص)

وعلم بقوله بنو بكر فرد عليه قائدهم القند من قصيدة

وتركنا ديار تغلب قفرا وكسرنا من القواة الجماحا

وترى الزير يمسح القول منا بعد ما صار مفردا مستراحا

فلما علم بنو تغلب بقول القند وكانوا فى صلح مؤقت مع بنى بكر ثارت نفوسهم من جديد ونقضوا الصلح فاغار المهلهل على بنى بكر فقيل انه فى أثناء الحرب وقع أسيرا فى يد عمرو بن الملك بن ضبيعة وبقى فى أسره زمنا طويلا ثم سقاه يوما خمرا كان قد ترك شربها منذ قتل كليب — فاشتد وهو تحت تأثير الشراب قصيدته التى يقول فيها ذاكرا ابنته الصغيرة

طفلة شتة المخلخل بيضا لعوب الذبذبة فى الساق

فاذهبى ما اليك غير بعيد لا يوانى الساق من فى الوثاق

ضربت نحرها الي وقالت ياعديا لقد وقتك الاواقي
مأرجي في العيش بعد نداما ي أراهم شنوا لكأس ملاق
به عمرو وعامر وحجي وربيع الصديف وابني عتاق
وأمري القيس ميت يوم أودى ثم خلي على ذات الرداق
وكليب ثم الهوارس اذ حسم رماه الكماة بالاطلاق
ان بحت الاحجار صدا وعزما وحصبا أد ذا اخلاق
حية في الوحار أربد لا تنـ ـفع منه التميم نفثة راق

قد ان عمرو بن مالك قد آلى ما قاله للمهلهل واقسم الا يذوق بعده خمرا ولا ... ولا لباحتي مات عطشا .

وقد سمعنا رواية كثيرة الدول على الحقة لناس عن موت مهلهل وكيف قتل ، وهي ان مهلهل الفارس فتى هذه الحادثة من الاسلام ثم مضى مع اهله يرحل بلاد ايس وبينما كان الركب يقطع الطريق خطر بباله ان يرجع الى ابيه ليراه وكان قد صدر امام استصحابه معه في حروبه وغزواته ، فاراد ان يترك لابن مالك أثرا حتى اذا تعب من السير خطر له عند شجرة يريد النوم تحتها . وبينما هو في نومه أذهبهم عليه السلاح وقضا على يده بريد ارقتله ليكفي العرب شر حروبه فتنبه لها مهلهل وقال « بالكما ؟ » معالا . « بذيقك ما أذقت العرب »

فقال مهلهل « ان لم يكن بد من ذلك » فاذا اتيتما ابنتي فخصاها عني بالسلام وقولا لها.

من مبلغ بنتي ان مهلهلا لا دركما ودر اليكما

ولما هم احد البدين بطعنه قال له مهلهل « ثكلتك امك لو أخذت البيضة عن رأسي لكفاك أخذها دون ان تضع يدك في سيدك »

فاقتلعا البيضة بقوتها فخرجت ام رأسه وبقي دماغه يتنفض فقال احدهما « لله درك من قتيل وفى لاخيه حتى احابه بصرعه كريما ! » ثم دناه وذلك في سنة ٥٠٠ ميلادية وعاد البدان الى القوم بكيان وبولان فلما سمعتهما سليمة ابنة المهلهل سألتهما عن المصاب فقالا لها « مات بوك وتركناه جثة على القوم » فسألتهما عما اوصى به وقت موته . فقالا لها « لقد سمعناه وهو يجود بنفسه . يقول .

من مبلغ بني ان مهلهلا لله دركما ودر أبيكما

فاستعصى على سليمى ومن معها فما بعني واذ ابنته الصغيرة تصيح « واثكلاه قتيل ورب الكعبة ! أوتعدا البدين . . هذان قتلا أبي ايا معشر العرب ها انتم فصدوه » قالوا وما الدليل قالت « المصراع الثاني يحتاج الى اول والاول يحتاج الى ثان » قالوا انما يشعر ان يكون ؟ ـ فعالت ما أراد الا ان يقول

من مبلغ بني ان مهلهلا اضحى قتيلا في الصلاة بخندما
لله دركما ودر أبيكما لن يبرح الصدان حتى يقتلا

فعجلوا بالبدين فقتلوهما

فشوع تلك الرواية دون سواها ثم قربها الى العقل لاسيما عثارها من الامثلة المتداوله بين العرب للدليل على قوة الفراسة كل هذا يدعو الى احتمال التصديق بها

شعراء الجاهلية

الطبقة الاولى

امرؤ القيس — طرفة ابن العبد — الحرث بن حلزه — عمرو بن كلثوم — النابغة الذبيانى — عنترة العبسى — أعشى قيس زهير بن أبي سلمى

امرؤ القيس

-١-

امرءو القيس

(المتوفى سنة ٥٣٨ ميلادية)

وهو ابن حجر ملك كنده من ملوك الاسبقية فى الشعر الفحل ذي المنى الرائع وهو بلاشك رأس شعراء الجاهلية وان نسب البعض تلك الاولية للاشى أو لنابغة

نشأ امرؤ القيس كما ينشأ أمثاله من ابناء الملوك العظام فخوراً بنفسه وقومه . وقد عرف الهوى في صغره ولما كان له تأثير على ملكته الشعرية فتحت نمر طهر في غزله وتشبيبه بالنساء . ولكن لم تكن سيرته هذه مرضية عند والده . فقصاه عنه بعد ما يئس من اصلاحه . وتزوج مع جماعة من ندمائه (بدون) بلهون و طربون . فبينما هو في احدى مساراته بلغه مقتل أبيه بايداء بني أسد عليه فقام وسط رفاقه مظهراً ثبات الجأش وسكون الخاطر قائلاً (ضيعني صغيراً . وحملني دمه كبيراً . لا صحو اليوم ولا سكر غداً اليوم خمر ، وغداً امر) ثم قال

خليلي ما في اليوم صحو لشارب ولا في غداً ذاك ما كان يشرب
أذود القوافي عني زياداً زياد علام جريء جوادا
ولما كثرن و تبينه بحير منهن سنا جهادا

ما نزل مرجله جانبا وآخذ من درها للمستجادا

والغرب في شعره ان تجتمع فيه صفات متضادة . فنجد البحتري في قصيدة له جيدة العبارة وعر يب الالفاظ وضخم المعنى كما يقول في وصف فرسه من معلقته

وقداعتلى الاطراق وكأنها بمجرد قيد الاوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

أو كما يقول في وصف حبوبته

وإذ هي تثني كثيب الغر ب فيه عبير وكثيب الكثيب الذكي (٢)

وهرهرة رودة رخصة كخر ود به آلة الحطر (٣)

وإذا به بعد ذلك شاعر رقيق اللفظ سهل العبارة سلس الاسلوب كما تراه في قوله

حارتنا أما عريان هاهنا وكل عريان هاهنا غريب

ثم

كأن عودا وحش حول خبائنا وارحلنا الجرع الذي يتقلب (٤)

وقوله وهو من أبياته المشهورة

وقد صوت في الآفاق حتى رميت من الغمامة بالإياب

---

(٢) يريد هر الملزق ذلك بتكثيب المرتفع من الارض والذكي هو شدة الريح

(٣) البرهرهة هي رقيقة الجلد والرودة الشابة والرخصة الناعمة . والخر . ة الضعف

(٤) الجرع هو خرز أسود يكون بالبادية

وكان اكثر شعر امرىء القيس وهو فى حداثته غزلا الى ان حدث مقتل أبيه فظهر شعره بعد ذلك ممزجا بالحزن وقد احاطت به المصائب وتوالت عليه طروف دعت مناسباتها الي قوله معظم قصائده المشهورة وكان اكثرها فى رثاء ابيه وذم الدنيا وشكوي الزمان

شعره فى الغزل

الا عم صباحا ايها الطلل البالي وهل يعمن من كان فى العصر الخالي
وهل يعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت بأوجال
وهل يشمن من كان أقرب عهده ثلاثين شهرا فى ثلاثة احوال
ديار لمي ايام بي الخال أنيخ عليها كل اسحم هطال
صموت اليها بعد ما نام اهلها سموا حباب الماء حالا على حال
فأ سبحت قد شطت وشط وليها عليه العذاب كاسف البال والبال
بخط عطيط السكر شد وثاقه يمثلي والمرء ليس بمثال

ومن قوله فى قصيدة اخرى

أصمري قد بت بجاجة ذي الهوى سعاد وراعت بافراق مربعا
وقد عرالروضات حول محلط ألي للحمر أي من سعاد ومسمعا
متي ترد ارنا من سعاد تقربا وتستجر عيناك الدموع تدمعا

وكان امرؤ القيس لما ادركت عنه الدنيا ونزل على بني طيء تزوج سلمي ام جندب ومن قوله فيها .

خليلي مرا بي على أم جندب نقضي حاجات الفؤ د المعذب
وإن مطرا ان لي ساعة من الدهر تنفعني لدى أم جندب

دراسة شعراء الجاهلية[1]

في فترة قصيرة فكرت أن أدرس الشعراء الجاهليين دراسة محلة ، فا كتفيت بالوقوف عند المعلقات وقطعات قصيرة وتبين ما يبتابنا من شكوك عند دراسة كثرها ، لذلك أرجو ان تتاح لى الفرصة فى المستقبل بدرس أطول ، وفحص أدق ، حديرين ببحث جليل كهذا

« ١ »

امرؤ القيس وشكوك نسبه

صلة هذه الشكوك بشعره

روى ابن قتيبة (ان امرأ القيس هو بن حجر بن عمرو الكندى وأمه من أهل نجد من الطبقة الاولى ، وهذه الديار التي وصفها فى شعره كلها ديار بني أسد . وان لبيد بن ربيعه قال أن أشعر الناس ذه الروح

الى هنا ينتهي ما كتبه الاستاذ محمد يوسف دخيل كاتب مقدمة الكتاب، وتبدأ دراستنا الخاصة ، لذا فليغفر لنا القارىء تكرار الكتابة عن امرىء القيس لان الذى كتبه كاتب المقدمة عنه ليس كما تقتضيه أصول البحث الجديدة ، ونحن نريد أن نتحرر من قيود القديم ، لذلك لا نجد بداً من الكتابة عنه من جديد ؟ محمود بك ر ا ه

يعني امرأ القيس ، وأن حجراً ملك على بني أسد فكان يأخذ منهم غلمة
مطوعة ، فتنوعه منه وصار اليهم فأخذ سراتهم فقتلهم بالعصي فسموا عند
العصي ، ثم هدم طائفة منهم عبيد بن الابرص فقام بين يدى الملك وقال

يا عمرو ، فاكي بنى * أسدهم أهل الذ
أهل الخلد الخمر والنعم الا * مؤمل ولـــــــدا
بهـ أيت اللعن مهـلا * ان ديما قلت آم
بى كل واد بين يثرب والا * قصور الى البها
تطرب بار أوصياح عجر * ق ورقاء هامة
أنت تبكيك عليهم * وهم العيد الي القيامة

فرحمهم الملك وعفا عنهم وردهم الي بلادهم حتي اذا كانوا علي مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم عوف بن رئمة الاسدي فقال يا عباد الله قالوا لبيك ربنا الا فقال « من الملك الاصهب . الغلاب غير المغلب . في الابل كلها الزبرب . لايطلق رأسه الصحب . هذا دمه يتشعب . وهو عداً أول من سلب » وقالوا من هو ربنا ا قال . « ولولا أن تجيش نفس جاشية أبأتكم انه حجر صاحية » ـ فركبت بنو أسد كل صعب وذلول لما أشرق لهم الضحي حتي انتهو الى الحجر فوجدوه اثافة بحوه ، وشدوا علي هجائنه فاستاقوها ، وكان امرؤ القيس طرده أبوه لما صنع في الشعر بفاطمة ماصنع وكان لها عاشقا فطلبها زمانا فلم يصل اليها . وكان يطلب غرة حتي كان منها يوم الغدير بدارة جلجل ما كان مما كان . فقالت من ذكرى حبيب ومنزل فلما باع ذلك حجرا أباه دخامولي له يقال له ربيعة مثل له اقتل امرأ القيس

واثني عينيه . فذبح جزوراً وأتاه بعينيه . فقدم حجر على ذلك . فقال أبيت اللعن اني لم أقتله . قال فانى به فاطلع ، فاذا هو قد قال شعراً في راس جمل وهو قوله .

* تركني أبيع لحم هذه * بكت أن تلم بها واثما

فرده الى أبيه وناه عن قول الشعر ثم أنه قال . * ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي * فمع ذلك أتاه فطرده بعصاه فقتلها وهو يدمدم فقال .

تطاول الليل علينا دمون * دمون انا معشر يمانون

* واننا لاهلنا محبون *

ثم قال . ضيفي صغيرا . وجزره كبيرا لاصحو اليوم ولا سكر غدا . اليوم خمر وغدا أمر . ثم قال .

خليلي ماني اليوم مصحي لشارب * ولا في عدا أذ كان ما كان مشرب

ثم آلى لا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتى ثأر لابيه . فلما كان الليل لاح له برق فقال .

أرقت لبرق يلمع أهل * ضيء سناه باعلى الحمل

يقتل بي أسد رهم * ألا كل شيء سواه حلل

ثم استجاش بكر بن وائل فسار اليهم وقد لجأوا الى كنانة . فوقعت بهم ودحت بنو كاهل من بني أسد فقال .

يالهف نفسي اذ حطين كاهلا * القاتلين الملك الحلاحلا

* تالله لا يذهب شيخي باطلا *

وقد ذكر امرؤ القيس في شعره أنه ظفر بهم فنابي عليه ذلك ، الشعراء

قال عبيد .

بإذا المحرقا تتل بيه ادلا وحيا * أرعمت أنك قد قتلت سراتنا كذبا ومينا

ولم يزل يسير في العرب يطلب النصر حتى خرج الى قيصر ونظرت اليه ابنة قيصر فعشقته وكان ياتيها وتاتيه. وطن (قطن) العماح بن قيس الاسدى لهما . وكان حجر قتل أباه . فوشى به الى الملك فخرج امرؤ القيس متسرعا فبعث قيصر فى طلبه رسولا فادركه دون المقرة بيوم ومعه حلة مسمومه فلبسها في يوم صائف فتناثر لحمه وتقطر جسده . وكان يحمله جابر بن حنيف العلبي فذلك قوله

فاما تريني فى رحالة جابر * على جرح كالقرتحقق أكفاني

وبارد مكروب كررت وراءه * وعان وكبكت العلى منه وهداني

أدا المرء لم يحرن عليه لسانه * فليس على شيء سواه بحزان

وقال حين حضرته الوفاة .

(رب حطمة محفرة (١) وطعنه مسحنفرة (٢) وجفنة إمشنجرة (٣) تبقي عدا ماقد .)

ويرى أستاذنا الدكتور طه حسين أن كل الحوادث المسوقة لامرىء القيس مدخولة تعد تدعيم القصائد التي انتحلها الرواة له . ويقول فى الادب الجاهلي ص ٢٠٩

---

(١) بدنة منحرة

(٢) ناقة ماضية

(٣) سائل يسيل وذكر

« .. من امرؤ القيس ؟ أما الرواة فلا يختلفون في أنه رجل من كندة ولكن بني كندة لا يختلف رواة في أنها قبيلة من قحطان ، ثم يختلفون بعض اختلاف في اسمها وتفسير اسمها وأحد رواياتها أكثر من غيرها يتفقون على أنها قبيلة يمانية ، وعلى أن امرأ القيس منها .

فأما اسم امرئ القيس واسم أبيه واسم أمه فأشياء ليس من اليسير الاتفاق عليها بين الرواة ، فقد كان اسمه أبو القيس . وقد كان اسمه حندجا . وقد كان اسمه قيسا . وقد كان اسم أبيه عمرا ، وقد كان اسم أبيه حجرا أيضا . وكان اسم أمه فاطمة بنت ربيعة أخت مهلهل وكليب . فأن امرؤ القيس يعرف بأبي وهب ، وكان يعرف بأبي الحارث . ولم يكن له ولد يذكر . وكان يشد بنانه جميعا . وكانت له ابنة يقال لها هند . ولم تكن هند هذه ابنة ، وإنما كانت بنت أبيه . وكان يعرف بالملك الضليل ، وكان يعرف بذي القروح وعليك أنت أن تستخلص من هذا الخليط المضطرب ما تستطيع أن تصيبه حقا أو شبيها بالحق . وأي شيء أيسر من أن تأخذ بما يقصه علينا كثير من الرواة في أنه حق لا شك فيه ؟ وكثير من هذا قد اتفقت على أن اسمه حندج بن حجر ، أما امرؤ القيس ، وكنيته أبو وهب ، وأمه فاطمة بنت ربيعة . فإني حدثت كثيرا من الرواة وإذا اتفقت الكثرة على شيء فيجب أن يكون صحيحا أو على الأقل تقدير بحسب أن يكون راجحا . أما أنا فقد أطمئن إلى آراء الكثرة . أو قد أراني مكرها على الاطمئنان لآراء الكثرة ، في المحافل العامة وما يشبهها . ولكن الكثرة لا تعني شيئا ، وقد كانت كثرة العلماء تنكر كروية الأرض

وحركتها ، وظهر بعد ذلك أن الكثرة كانت مخطئة.

وكانت كثرة العلماء ترى كل ما أثبت العلم الحديث أنه غير صحيح فالكثرة في العلم لا تغني شيئا » . ثم يذكر أنا لا نستطيع ألا الموازنة بين ما تزعم أغلبية الرواة وبين ما تزعم العلة ، وحتى هذا الموازنة لا نقبلها للامور التي رآها في انتحال الشعر الجاهلي ، ويصرح من ذلك ألي أن الخلط في حياة امرىء القيس ونسبه أوضح دليل على أن الناس لم يعرفوا عنه شيئا الا اسمه وما دار حول اسمه من أساطير .

* * *

ونحن لا نستطيع ألا أن نذهب مذهب الدكتور في استنكار (تخبط الرواة في نسبه ، وفي حوادثه ، فبينما ينسبه الاصمعي فيقول (هو أمرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن ثور ويقول (أن ثورا هو كندة) نجد ابن حبيب يزيد به نسبا الى الحارث بن معاوية وثور بن مرتع بن معاوية بن كندة ، ونجد بعض الرواة يقول (هو أمرؤ القيس بن الحمط بن امرىء القيس بن عمرو بن معاوية بن ثور وهو كندة (بينما يقول ابن الاعرابي (ثور هو كندة بن عفير بن الحارث بن مرة بن سدى بن أدد بن زيد بن عمرو بن مسمع بن عرس بن زيد بن كهلان بن سبا) . كل هذه الاختلافات في رواة نسب امرىء القيس التي عنى بحصرها المرحوم الاستاذ أحمد بن أمين الشنقيطي ، تدل دلالة واضحة على أن امرأ القيس لم يكن متحققا من أخباره وأخباره أذن مشكوك فيها ، وبذا يكون الشعر الذي بني على صحة هذه الاخبار ، موضوع ريبة

أنظر الى الرواية التي ذكرها ابن قتيبة عن نشأة امرىء القيس ! تجد أنها تعطيك فكرة عنه غير التي تعطيكها الرواية الغائلة (أنه نما ترعرع علق النساء وأن كثر الذكر لهن فكره ذلك أبوه حجر (بضم الحاء والجيم) فقال كيف أصنع به فقالوا احمله في رعاء ابلك حتى يكون في اتعب عمل فأرسله في الابل فخرج يرعاها ثم آواها مع الليل وحمل ينيخها ويقول ياحبذا طويلة لاقراب عريرة الحلاب . كريمة الصحاب . ياحبذا شداد الاواك . عراض الاحناك . طوال الاسماك . ثم بات ليلة يدور الى متحدثه حيث كان يتحدث فقال أبوه ماشغلته بشيء ، قيل له فأرسله في الخيل فأرسله في خيله ، فمكث بها يومه حتى آواها مع الليل فدنا أبوه حجر فسمع ماذا هو يقول ياحبذا اناثها من ساء ، وذكورها طاء عدة وساء ، ثم الصحاب راجلا وراكبا ؟ تدرك طالبا وتفوت هاربا . . قال أبوه والله ماعدت شيئا ؟ فبات ليلته يدور حوليها قيل له احمله في الصأن فمكث يرعيها حتى اذا أمسى أراحها فجاء أبوه فجاء خلفها فلما سمعت الراعي به أبوه سمعه يقول آخراها والله لاتهتدي طريقا ولاتعرف صديقا أحرا والله لاتطيع راعيا ولاتسمع داعيا ثم سقط ليته لاينحرك فلما أصبح قال أبوه احمل بها فصعد حتى عدا من الحي وأشرف على الوادي تحتي في حجرة التراب فارتدت وجعل يقول حجر ثم حجر ، حجر لأمدر حباك لحم أدماء الطير والاثاب . فلما رأى أبوه ذلك منه وكان يرغب به عن النساء والشعر وأبى أن يدع ذلك فأخرجه عنه فخرج مرغما لابيه فكان يسير في العرب بصاب الصيد والغزل حتى قتل أبوه)

في الرواية الاولى نجد امرأ القيس الشاب عشق زوجة أبيه وطلبها زمانا فلم يصل اليها ، حتى كان منها يوم الغدير بدارة جلجل ما كان ، فقال فيها معلقته ومدح الشعر أباه فامر بذبحه بالحانه وسرأبه بهذه الدماء عن الشعر فاتى فطرده .... بينما نجد في الرواية الثانية أن امرأ القيس نفسه لم تكن حليلة زوجة أبيه ، الامر الذي لم يكن معروفا في أخلاق العرب (١) بل كان متيما في الحسان متغزلا فيهن كثير الذكر لهن وأن أباه حمله في رعاء ابله ثم أرسله في شبابه ثم حتى تصاب بلها لم يرعو ولم يشغله الاجتماع عن ميوله ، طرده اذ . وهنا أيضا أن نكتفي احدى الروايتين صحيحة وأما ، كونهما غير حقيقيتين وان حدة الرواية الاولى كان لها حكم في الشعر الماسوف لامرىء القيس غير الحكم الذي تمليه علينا الرواية الثانية وغير الحكم الذي ينشأ من فيهما معا ويميل الى دراسة معلقته لنرى ما تصل هذه الشكوك فيثبتها وما يعيد لذلك بل أبطلها .

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل (٢)
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها * لما نسجتها من جنوب وشمأل
ترى بعر الارآم في عرصاتها * وقيعانها ، كانه حب فلفل
كأني غداة البين يوم تحملوا * لدى سمرات الحي ناقف حنظل
وقوفا بها صحبي علي مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجمل

---

(١) اي لان الاكبر أن يكون ولي امرأة أبيه غير امه .

(٢) موصول .

وأن شفائي عبرة مهراقة * فهل عند رسم دارس من معول (٣)
كدأبك من أم الحويرث (٤) قبلها * وجارتها أم الرباب (٥) بمأسل (٦)
اذا قامتا . تضوع المسك منهما * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل
فعاصت دموع العين مني صبابة * على النحر حتى بل دمعي محملي
ألا رب يوم لك منهن صالح * ولاسيما يوم بدارة جلجل

بعد ما بكاء الحبيب والمنزل بقطع اللوى ذاكر أن الذكرى تهيج فتجرى دموعه كناتج الحنظل الذى تدمع عليه من حرارته حتى يتفقه ليستخرج حبه ثم خرج من هذا ذلك الى ذكر أم الحويرث وأم الرباب خاصا بالذكر يوما بدارة جلجل ويوم عاقل جلجل هذا فانه يحدثك عنه فى قوله.

ويوم عقرت للعذارى مطيتي * فيا عجباً من كورها المتحمل
فظل العذارى يرتمين بلحمها * وشحم كهداب الدمقس المفتل
ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة * فقالت لك الويلات انك مرجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً * عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
فقلت لها سيري وأرخي زمامه * ولا تبعديني من حماك المنزل
فمثلك حبلي قد طرقت ومرضع * فألهيتها عن ذي تمائم محول

(٣) منزل موضع بعينه وبكاء أو على وقف عليه اعتمدت
(٤) امرأة ابيه
(٥) امرأة كلب
(٦) اسم موضع

فاذا ماكى من خلفها انصرفت له * بشق وتحتي شقها لم يحول
ويوماً على ظهر الكثيب تعذرت * على وآلت حلفة لم تحلل
افاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان كنت قد أزمعت صرمي فاجملي
وان تك قد ساءتك مني خليقة * فسلي ثيابي من ثيابك تنسل
أغرك مني أن حبك قاتلي * وانك مهما تأمري القلب يفعل
وما درمت عيناك الا لتضربي * بسهميك في أعشار قلب مقتل
وبيضة خدر لايرام حباؤها * تمتعت من لهو بها غير معجل
تجاوزت أحراساً اليها ومعشراً * على حراصا لو يسرون (٢) مقتلي
اذا ما الثريا في السماء تعرضت * تعرض أثناء الوشاح (٢) المفصل
فجئت وقد نضت (١) لنوم ثيابها * لدى الستر الا لسة المتفضل
فقالت يمين الله مالك حيلة * وما إن أرى عنك العماية تنجلي
خرجت بها تمشي تجر وراءنا * على أثرينا ذيل مرط مرحل
فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى * بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل (٤)
هصرت بفودي رأسها فتمايلت * علي هضيم الكشح ريا المخلخل (٥)
مهفهفة بيضاء غير مفاضة * ترائبها مصقولة كالسجنجل (٦)
كبكر المقاناة البياض بصفرة * غذاها نمير الماء غير المحلل

---

(١) يقدرون على قتلي سرا أو جهرا (٢) الوشاح سير من الجلد يرصع بالجوهر (٣) خلعت (٤) أنحى اعترض ، الخبت الارض المطمئنة ، الحقاف الرمال المشرفة ، العقنقل ما تعقد منه (٥) هصرت جذبته والفودين جانبي الرأس (٦) المرآة

تصد وتبدى عن أسيل وتتقى * بناظرة من وحش وحرة مطفل
وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش * اذا هى منه ولا بمعطل
وفرع يزين المتن أسود فاحم * اثيث كقنو النخلة المتعثكل
غدائره مستشزرات الى العلا * تضل العقاص فى مثنى ومرسل
وكشح لطيف كالجديل مخصر * وساق كأنبوب السقي المذلل
وتضحى فتيت المسك فوق فراشها * نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل
وتعطو برخص غير شثن كأنه * أساريع ظبى أو مساويك اسحل
تضيء الظلام بالعشاء كأنها * منارة ممسى راهب متبتل
الى مثل ياقوت الحلبم صافة * اذا ماسكرت بين درع ومحول
تسلت عمايات الرجال عن الصبا * وليس فؤادى عن هواك بمنسل
ألا رب خصم فيك ألوى رددته * نصيح على تعذاله غير مؤتل

من حديث يوم دارة جلجل . يوم لقى فيه امرؤ القيس بعوته عشيرة اذ تقدم الرجال وساروا راجلين وتخلف امرؤ القيس فى كر حتى مرت به الصوة ومرل فى القدر تاركا ثيابه . تهجم عليه وأخذها ، واقدم لا يعطى واحدة ثوبها حتى تخرج متجردة ، فخرجت عند اليأس الواحد تلو الاخرى ، ولما كانت عشيرة سديف صواتها ، فيه لما قاله وهو فى حديثه عن يوم دارة يقول

اذا بكى من خلفها انصرفت له * بشق وتحتى شقها لم يحول

ويريد به بطرها اياه لتؤاسه ، بينما تصور ان ولدها بطرفها اذ كان السقم عند بعض الاعراب لا يزال يلحق خلف أمه . ثم يطالبها بمثل

ثيابه من ثياب أي تخلص نفسه من قلبها ، ثم يذكر دلالها وخرج لحاظها وانه تجوز في نفسه بها احداً يستطيعون عليه ثم ذكر ما كان بينه وبينها وخرج من ذلك الى ذكر محاسنها وطيب عنده مدة ، يخرج الى وصف الليل فقال من ، ويقول

وليل كموج البحر أرخى سدوله * علي بأنواع الهموم ليتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي * بصبح وما الاصباح منك بأمثل
فيالك من ليل كأن نجومه * بكل مغار الفتل شدت بيذبل
كأن الثريا علقت في وصاحها * بأمراس كتان الى صم جندل
وقربة أقوام جعلت عصامها * علي كأهل مي دلول معقل
وواد كجوف العير قفر قطعته * به الذئب يعوي كالخليع المعيل
فقلت له لما عوى أن شأنا * قليل الغنى إن كنت لما تحول
كلانا اذا ما نال شيئاً أفاته * ومن يترخص في حزيمة يرذل
وقد عنى والطير في وكناتها * بمجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل
كميت يزل اللبد عن حال متنه * كما زلت الصفواء بالمتنزل
على الذبل جياش كأن اهتزامه * اذا جاش فيه حميه غلى مرجل
يسح اذا ما السابحات على الونى * أثرن غبارا بالكديد المركل
يزل الغلام الخف عن صهواته * يلوى بأثواب العنيف المثقل
درير كخذروف الوليد أمره * تتابع كفيه بخيط موصل

* أبطلاطي وساقا نعامة * وارخاء سرحان وتقريب تتفل
صليع اذا استدبرته سدوجه * كمافوق الارض ليس بأعزل
كأن على المتنين منه اذا انتحى * مداك عروس او صلاية حنظل
كأن دماء الهاديات بنحره * عصارة حناء بشيب مرجل
من لما سرب كأن نعاجه * عذارى دوار في ملاء مذيل
فادبر كالحرع المفصل بينه * بجيد معم في العشيرة مخول
فالحقنا بالهاديات ودونه * جواحرها في صرة لم تزيل
معادي عداء بين ثور ونعجة * ودرا كا ولم ينضح بماء فيغسل
وظل طهاة اللحم من بين منضج * صفيف شواء أو قدير معجل
ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه * متى ماترق العين فيه تسهل
فبات عليه سرجه ولجامه * وبات نعيي قائما غير مرسل
أصاح ترى برقا أريك وميضه * كلمع اليدين في حبي مكلل
يضيء سناه أو مصابيح راهب * أمال السليط بالذبال المفتل
قعدت له وصحبتي بين ضارج * وبين العذيب بعدما تأملي
على قطن بالشيم أيمن صوبه * وأيسره على الستار فيذبل
فأضحى يسح الماء حول كتيفة * يكب على الاذقان دوح الكنهبل
ومر على القنان من نعمانه * فاترك منه العصم من كل منزل
ونيماه لم يترك بها جذع نخلة * ولا اطما الا مشيدا بجندل
كان تبيرا في عرانين وبله * كبير أناس في بجاد مزمل
كان ذرى رأس المخيم تدوه * من سيل اثاد فلكة مغزل

واقي الصحراء الغبط بباعه * ـول اليماني ذي العباب المحمل(١)
كان مكاكي الحواء غدية * صبحن سلافا من رحيق معامل
كان السباع فيه عرقى عشية * بارجائه القصوى انابيش عنصل

فنجد المعلقة مزيجا من السهولة والصعوبة اللفظية كما انا نجدها خليطا بين ابيات يتغني بها لرقتها مثل قوله .

قفا بك من ذكري حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

تقول وقد مال الغبيط (٢) بنا معا * عقرت بعيري امرأ القيس فانزل

وقوله .

وماذرفت عيناك الا لتضربي * بسهميك في اعشار قلب مقتل

والنهر مثل قوله فمثلك حبلي قد طرقت ومرضع وقوله سموت اليها بعد ما نام اهلها وابيات لاتتناسب مع شاعر ملكي مثل قوله وقربة اقوام جعلت عصامها الي قوله كلانا اذا مانال شيئا افاته فخط فيها الرواة اذروى الاصمعي وابن قتيبة وابو حنيفة الدينوري هذه الابيات لتابط شرا وزعم السكري انها لامرئ القيس ونقل عنه الخطيب التبريزي ومحمد ابن الخطاب في جمهرته ثم نجد خروجا من نعته الي وصف الابل فالفرس بلا اتصال بينها بحيث انا اذا فصلنا كل جزء عن سابقه اصبح قائما بذاته . والذي نريد ان نصل اليه أن تضارب الرواة في رواية تلك المعلقة واختلافهم

---

(٢) كثير المال

(٢) الرحيل

فى سب كثير من ابياتها لعير امرىء القيس يدل على انهم اما ان يكونوا قد انتحلوا القصة طبقا لرواياتهم فيكون لامرىء القيس وصف الليل والفرس وا انهم انتحلوا له وصف الفرس ومرجوها بابيات ظاهر انها طبيعية . فيكون له القصة . واما ان يكونوا سرقوا بعضها ذلك مالا يطمئن اليه بحث ''

طرفه ابن العبد

يجي النبوغ على كثيرين ، اد يكون في بعض الاوقات سبب حتفهم . ومن هؤلاء طرفة ، مات شابا صغيرا لا يتجاوز العشرين ، لحاقه عمرو بن هند الذي أمر الصعينه فى نفسه وأظهر لطرفة الود والبشاشة ، مرسلا لعامله بالبحرين ليقتله . فصدق طرفة ان عمروا رضى ، وان الود بينهما حقيقى ، وانه انما يوصي به فى الخطاب خيرا ، فذهب وحمل بنفسه رسالة موته . . والذى يعنينا من طرفة ليس تاريخ حياته ، لانه تاريخ قصير فحياه شاب قليل الا كتراث بالحياة ، غير عابىء الا بحسى اللذات ، وانما الذى يعنينا أن نرى فيها مثلا لاضطراب نفس شاعرة بين الحسيات والمعنويات، شاعر تتنازع نفسه بين المادة والمعنى ، فتنتصر لديه المادة لفترة عشرة ، ويستحوذ المعنى لفترة فى نفسه . ثم نراه بعد ذلك نحس المعنى الذى خذله ولا نوابه يحرره طالما عنه انه انتصر عليه ثانية ، وهو فى الحقيقة ينازع نفسه ، فتعلله ، فاذا ما علبته صار فى طريقها سببا حتميا معنا في اللذة غير عابىء بما بعدها . . . لكن الشاعرية تمض ، اذ تتزاحم المعانى فى فكره ، فيخرجها ، أجمل ما تكون ، ويفرح عن نفسه باخراجها وفى احراجها معنى من معاني الدهر يحسه هو حسوا رقراقا لا ... وهكذا

يعن فى اخ ـلج معانيه لتي لا تعتيه كلفته ، فتخرج واضحة جلية ، صافية نقية . وهو فى هذا وذاك شريف النفس يواق الى العلي ! !

انظر إلي معلقته التي يقول فيها.

لخولة أطلال ببرقة ثهمد * تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليـد
وقوفاً بها صحبي على مطيهم * يقولون لاتهلك أسى وتجلد
كان حدوج المـالكية غـدوة * خلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية أومن سفين ابن يامن * يجور بها الملاح طوراً ويهتدى
يشق حباب الماء حيزومها بها * كما قسم التربب الفايل باليد
وفى الحى أحوى ينفض المرد شادن * مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد
خذول تراعي ربرباً بخميلة * تناول أطراف البرير وترتدى
وتبسم عن ألمى كان منورا * تخلل حر الرمل دعص له ند
سقته أباة الشمس ألا لثاته * أسف ولم تكدم عليه بأثمد
ووجه كان الشمس ألقت رداءها(١) * عليه نقي اللون لم يتخدد
وانى لامضي الهم عند احتضاره * بعوجاء مرقال تروح وتغتدى
أمون كالواح الاران نصأتها (٢) * على لاحب كأنه ظهر برجد
جالية وحناء تردى كأنها * سفنجه تبري لازعر أربد
تباري عتاقا ناجيات وأتبعت * وظيفا وظيفا فوق مور معـد
تربعت القفين في الشول ترتمى * حدائق مولي الاسرة أغـد

---

(١) ويروى حلت رداءها فجعل الشمس رداءه استعارة للنور

(٢) نصأتها ونسأتها زجرتها وضربتها بالمنساة

تربع الى صو . المهب(١)وتقى * ذى خصل روعات أكلف ملبد
كان حاجى صرحى تكمها * حفافيه شكا فى السيب بمسرد
فطورا وخلف الزميل وتارة * على حشف كالشن ذاو مجدد
لها حذف أكل المحض بيها * كأنها بانا منيف ممرد
ط محاب كالحى خلوه * وأجرنة لزت بدأى منضد
كأن كناه صالة يكنفانها * وأطرقسى تحت صلب مؤيد
لها مرفقان أفتلان كأنها * تمر بسلمى دالج متشدد
كسطرة لرومى أقسم ربها * لتكتنفن حتى تشاد بقرمد
صهابية الشون موجدة القرا * بعيدة وخد الرجل موارة اليد
أم . بداه قتل شزر وأجنحت * لها عصداها فى سقيف مسند
جنوح دفاق عندل ثم أفرعت * لها كتفاها ومعالى مصعد
كأن علوب السمع فى دأباتها * مواردمن خلفاء فى طهر قردد
تلافى وأحيانا تبين كأنها * نائق عر فى قمص مقدد
وأبلع نهاض اذا أصعدت به * كسكان بوصى(٢) بدجلة مصعد
وحمجمة مثل الملاة كأنما * وعى الملتقى منها الى حرف مبرد
وحد كقرطاس الشآمى ومشفر * كسبت اليمانى قده لم يجرد(٣)

---

(١) تربع ترجع ، والمهيب الذى يصيح بها هوب هوب ، ويعنى انها مدربة .

(٢) فى رواية نوتى وهو الملاح

(٣) أى أن الشعر على النقد.

وعبان كالملا يتبى استكنتا * كمهفي حجاحى صحرة قلت مورد
طحورن و ر القدي بترها * كمكحولي بدعورة أم مرئد
وصادد سمع التوحس للسرى * لهجس حفى أو لصوت مد د
مؤللتا قلب لمتق فيها * كما دى شاة بحومل مد د
وأدع بياض أحذ ململ * كمرداد صحن صبح مصد د
وأسلم محرور من الانف مارد * شيو و ح به الارض تزدد
وان شئ لم ترقل وشئت أرملد * محافة لوذ من القد مجدد
وا شئت نامي واسطا الكور رأسه * بها عامت بصبحها نجاء الحميدد
على منهه أمه أد قال صحبى * ألا ليتني أفديك منها وأفتدي
وجاشت اليه النفس خوفا وخاله * مصاباولو أمسى على غير مرصد
أذا القوم قالوا من فتى خلت انى * عنيت فلم أكسل ولم ابد د
أحلت عليها بالقطيع فاجدمت * وقد خب آل الاصر المتورد
مذالت كما ذالت وليدة محلس * تري ربها أذيال سحل معدد
ولست بحلال التلاع مخافة * ولكن متى يسترفد القوم أرفد
فان تبغني فى حلقة القوم تلقي * وأن تلتمسني فى الحوانيت تصطد
متى تاني أصبحك كاسا روية * وان كنت عنها ذاغني فاعن واردد
وان يلتقى الحى الجميع تلاقني * الى ذروة البيت الشريف المصمد
نداماى بيض كالنجوم وقينة * تروح اليناين برد ومجسد
رحيت قطاب الحب منها رفيقة * بجس الدامى نضة المتجرد
اذا نحن قلنا اسمعينا ابرت انا * على رسلها مطروفة(١) لم تشدد

(١) ساكنة الطرف

اذا رجعت فى صوتها خلت صوتها * تجاوب أظآر على ربع ردد
ومازال تشرابى الخمور ولذتى * وبيعى وانفاقى طريفى ومتلدى
الى أن تحامتنى العشيرة كلها * وأفردت افراد البعير المعبد
رأيت بنى عبراء لاينكرونى * ولا أهل هذاك الطراف الممدد
كأنى بهذا الزاجرى أحضر الوغى * وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى
فان كنت لاتستطيع دفع منيتى * فدعنى أبادرها بما ملكت يدى
ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى * وجدك لم أحفل متى قام عودى
فمنهن سبقى العاذلات بشربة * كميت متى ماتعل بالماء تزبد
وكرى أذا نادى المضاف محنبا * كسيد الغضا نبهته المتورد
وتقصيرى يوم الدجن والدجن معجب * ببكهنة (١) تحت الحباء المعمد
كأن البرين والدمالیج علقت * على عشر أو خروع لم يخضد
كريم يروى نفسه فى حياته * ستعلم أن متنا غدا أينا الصدى
ترى قر نحام (٢) بخيل بماله * كمر عوى فى البطالة مفسد
ترى جثوتين من تراب عليهما * صفائح صم من صفيح منضد
أرى الموت يغتام عليه الكرام ويصطفى * عقيلة (٣) مال الفاحش المتشدد
أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة * وما تنقص الايام والدهر ينفد
لعمرك أن الموت ما أخطأ الفتى * لكالطول (٤) المرخى وثنياه (٥) باليد

(١) فى رواية بهيكلة وبعنى عظيمة الالواح والمجيزة والفخذين
(٢) بخيل (٣) عقيلة الشىء كريمته وخياره
(٤) حبل تشد به قائمة الدابة ويمسك طرفه وترسل لترعى
(٥) طرفاه

متي مايشـأ يوما يقده لحتفه * ومن بك فى حبـل المنية ينقد
فقالى أراني وان عمى مالـكا * متي ماأدن منه ينأ عني و يبعد
يلوم وما أدري علام يلومني * كما لامني فى الحي قرطبن أعبد
وأياسني من كل خير طلبته * كأنا وصناه ألي رمس ملحد
علي غير شيء قلته غير أنني * نشدت فلم أغفل حمولة معبد
وقربت بالقربي وجدك أنه * متي يك أمر للكيئة أشهد
وأن أشـ للحي أكن من حماتها * وأن يأتك الاعداء بالجهد أجهد
وأن تقدموا بالقدح نعرصك أسدهم * بشرب حياض الموت قبل التهدد
بلا حدث أحدثته وكيحدث * يحاني وقذفي بالشكاة وطردي
فلو كان ولاي امرأ هو غيره * لفرج كربي أولاظرني غدي
ولكن مولاي امرؤ هو خانق * على الشكر والتسال أو أنا مفتد
وظلم ذوي القربي أشد مضاضة * على المرء من وقع الحسام المهند
فدى لك من أخ ألفيته لك شاكر * ولو حل بيتي نائيا عند ضرغد
فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد * ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد
فأصبحت ذا مال كثير وارثي * بمون كرام سادة ذوو ندى
أنا الرجل الصرد (١) الذي تعرفونه * خشاش كرأس الحية المتوقد
فليت لا قومك كنعي طلاقة * لعضب رقيق الشفرتين مهند
حسام اذا قمت منتضرا به * كفى العود منه البدء ليس بمعضد
أخي ثقة لاينثني عن ضريبة * اذا قيل مهلا قال حاجزه قدى

---

(١) في روايه الجد وهو المخ الشديد

اذا ابتدر القوم السلاح وجدتنى * منيعا اذا بلت بقائمه يدى
وكم هجو دقد أثارت مخافتي * بواديها أمشي مصلت محرد
قمرت كماة ذات خيف جلالة * عقيلة شيخ كالوبيل يلندد
يقول وقد تر الوطيف وسادها * ألست ترى أن قد أتيت بؤيد
قال ألا مادا ترون بشارب * شديد علينا بغيه متعمد
يقال دروه انما همها له * وألا تكموا قاصي الرك رد
مطل الاداه يتلان حوارها * ويسعي علينا بالسعب المسرهد
ان مت قاسيني بنا أنا أهله * وشدي على الحيب بأسمة محمد
لا تجعليني كامرئ ليس همه * كهمي ولا يغني غنائي مشهدي
يطيف عن الحلى سريع الى الخنا * ذلول بأحماء الرجال ملهد
لو كنت علاة لاستراح لغربتي * عداوة ذي الاصحاء المتودد
لكن نفى عني الرجال جراءتي * عليهم أقدامي وصدقي ومحتدي
لعمرك ما أمري على غمة * نهارى ولا ليلي على بسرمد
وم حمست النفس عند عراكه * حماطا على عوراته والتهدد (١)
على موطن يخشى الفتى عنده الردى * متى تعترك فيه الفرائص ترعد
أغر مصبوح ظرت حواره * على النار واسود تنه كف مجمد
يرى الموت أعداد النفوس ولا أرى * بقاء لنا أقرب الينا ومن غد
ستدري ان لم تعلمي أني امرؤ * تزود بأخرى الدهر مما تزود
يأتيك بالاخبار من لم تبع له * بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

(١) عند عراك هسه ، اذ يقاومها من الانهزام خوف العار

تجد أن معلقة طرفه مع اختلاف الرواة فى اثبات بعض أبياتها مثل بيت (وأصفر مضبوح نطرت حواره الخ) رواه الخطيب ولم يروه الاعلم ورواه السكيت ولم يروه الاصمعى ولا ابن حبيب ولا ابن الاعرابي ، تاسينه لعدى بن زيد . ومثل قوله (أرى الموت أعداد النفوس) لم يروه الخطيب ورواه السكيت والاعلم وزاد بن الخطيب بيتين .

لعمرك ما الايام الامغارة * فما استطعت من معروفها فتزود

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه * فأن القرين بالمقارن يقتدى

وبيت (حمالية وجناء) لم يروه الاعلم ولا الخطيب ولا ابن السكيت ورواه بعض الرواة أهمل بالرغم من هذا الاختلاف وغيره نجدنا مطمئنين كل الاطمئنان عند قراءة المعلقة ، فهى ظاهره الجاهلية فى الفاظها ، ظاهرة صدورها حينما من فتى شاعر صور التاريخ الادبى لنا صورته الشعرية واضحة جلية اذ بينما نراه يتكلم عن السفينة المحبوبة فتاجاة حسناء موصوفة بالناقة اذا به يحدثنا عن نفسه ومكانته بين قومه ، ويخرج من هذا الى الحسن فالغناء ، فالاناحه ، فالخمر ، فطلل اللذة الحسية ايما وحدت فالشك فيما بعد الموت .

كريم يروى نفسه فى حياته * ستعلم ان متنا غدا أينا الصدى

ويخرج من هذا وذاك الى ذكر مصاصة ذوي القربى ، ثم الفخر بشجاعته ويختم معلقته بالحكمة الجميلة .

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

ويأتيك بالاخبار من لم تبع له * بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

يرى استاذنا الدكتور طه حسين أن وصف الناقة الذى يبدأ من قوله .

وانى لامضى الهم عنداحتضاره * بعوجاء مرقال تروح وتغتدى

يضطرنا الى ان نقول ان اكثر اوصاف الناقة هنا اقرب الي ان يكون من صنعة العلماء باللغة منه الي اى شيء آخر ويرى في قوله (ولست بحلال التلاع مخافة) الى قوله (اذا رجعت فى صوتها خلت صوتها) لينا فى غير ضعف وشدة في غير عنف وكلاما لاهو بالغريب الذى لايفهم ولا هو بالسوقي المتبذل ولا هو بالالفاظ وصفت وصفا دون ان تدل على شيء يرى في قوله (ومازال تشرابي الخمور ولذتي)شخصية قوية وبدها فى الحياة واضحا جليا مذهب اللهو واللذة يعمد اليهما من لايؤمن بشيء بعد الموت ولايطمع من الحياة الا فيما تتيح له من نعيم بريء من الاثم والعار على ماكان يفهمهما عليه هؤلاء الناس ويرجح بعد ذلك ان فى المعلقةطرفة شعرا صنعه علماء اللغة هو هذا الوصف وشعرا صدر عنشاعرحقاهو هذه الابيات الاخيرة وما يشبهها ثم يقول بعد ذلك (لسنا نأس ان يكون في هذه الابيات نفسها مادس على الشاعر دسا وانتحل عليه انتحالا)!!

وقد الحنا فيما ذكرناه الى ذلك الدس والانتحال الظاهر من بعد الصلة بين الكثير من أبيات المعلقه وبين مانستطيع أن نستخلصه منها معتمدين على ماعرف عن طرفة . فأذا كان هذاالتخبط من الرواة فى القصيدة الواحدة لطرفة التي سماها أولى قصائده ، فهل نثق بما يوردونه عنه من مقطوعات وهى دون مانوصفنا له بصع أبيات . فى المعلقة نصور لنا طرفة شاعراً ، بالمعنى الذي ذكرناه فى أول المعلقة !!

‹٣›

زهير بن ابى سلمى

لم يحرص أحد من الشعراء على تنقيح شعره حرص زهير ، اذ كان ينظم القصيدة فى شهر وينقحها فى سنة ثم يعرضها على خواصه ثم يذيعها بعد ذلك ، وكانت قصائده حوليات ، وهي أربع .

(١) قف بالديار التي لم يعفها القدم * بلي وغيرها الارواح والديم
(٢) أن الخليط أجد البين فانفرقا * وعلق القلب من أسماء ماعلقا
(٣) ان الخليط ولم يأووا لمن تركوا * وزودوك اشتياقا أية سلكوا
(٤) لمن طلل برقة لايريم * عفا وحلاله حقب قديم

وله خلاف ذلك مقطوعات كلها جيد جميل ، ومن ذلك تشبيهه امرأة ثلاثة اوصاف فى بيت واحد حيث يقول .

تنازعها الما شبها ودر ال * محور (١) رشابهت فيها الظباء
فأما مافوق العقد منها * فى أدماء مرتبها الحلاء
وأما المقلتان فى مهاة * وللدر الملاحة والصفاء

لذا أجمع كل قراء شعره على مدحه ، حتى وصفه عمر بن الخطاب بأنه

---

(١) فى بعض الروايات ، لا سيما رواية ابى قتيبة يحور وشابهت ، لكنا فضل هذه الرواية (٢) موصان (٣) هى البئر العتيقة .

أشعر الشعراء معللا ذلك بأنه لايما ظل في الكلام ، متجنبا وحشي الشعر ولا يمدح أحداً الا بما فيه ولوصول ألي فهم شيء من شاعرية رهير ، ومن تعريفها عن كثير مما نسب أليه ، نضع أمامك معلقته التي يقول فيها .

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم * بحومانة الدراج فالمتثلم (٢)
ودارها لا بالرقمتين كأنها * مراجيع وشم فى نواشر معصم
بها العين والآرام يمشين خلفه * وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم
وقفت بها من بعد عشرين حجة * فلأيا عرفت الدار بعد توهم
أثافى سفعا فى معرس مرجل * ونؤيا كجذم الحوض (٣) لم يتثلم
فلما عرفت الدار قلت لربعها * الا عم صباحا أيها الربع واسلم
تبصر خليلى هل ترى من ظعائن * تحملن بالعلياء من فوق جرثم
جعلن القنان عن يمين وحزنه * وكم بالقنان من محل ومحرم
علون بأنطاكية فوق عقمة * وأردحوا شيها مشاكهة الدم
ظهرن من السوبان ثم حرعنه * على كل قيني قشيب ومعلم
وركن في السوان يعلون متنه * عليهن دل الناعم المتنعم
بكرن بكورا واستحرن بسحرة * فهن لوادى الرس كاليد للفم
وفيهن ملهى للصديق ومنظر * أنيق لعين الناظر المتوسم
كأن قتات العهن فى كل منزل * نزلن به حب الفنا لم (١) يحطم

---

(١) الفنا كما يقول المبرد) شجر يثمر ثمرا أحمر ثم يتفرق فى هيئة الثمر الصغير فهو يشبه مايسقط من أنماطهن اذا انزلن بالعهن الصوف

فلما وردن الماء زرقا جمامه * وضعن عصى الحاضر المتخيم
سعى ساعيا غظ ن مرة عدما * تبزل مابين العشيرة بالدم
فأقسمت البيت الذي طاف حوله * رجال بنوه من قر ش وجرهم
يمينا لنعم السيدان وجدتما * على كل حال من سجل ومبرم
تدار كتما عبسا (١) وذبيان بعدما * تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم(٢)
وقد قلتما أن ندرك السلم واسعا * بمال ومعروف من القول نسلم
فأصبحتما منها على خير موطن * بعيدين فيها من عقوق ومأثم
عظيمين في عليا معد هديتما * ومن يستبح كنزا من المجد يعظم
تعفى الكلوم بالمئين فأصبحت * يجمها من ليس فيها بمجرم
ينحملها قوم لقوم غرامة * ولم يهريقوا بينهم ملء محجم
فأصبح بحي ذبيان من تلاع * سقام شتى بين كالم وارم (٣)
ألا أبلغ الاحلاف عني رسالة * وذبيان هل أقسمتم كل مقسم
فلا تكتمن الله ما في نفوسكم * ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر * ليوم الحساب أو يعجل فينقم
وما الحرب الا ما علمتم وذقتم * وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة * وتضر اذا ضريتموها فتضرم

---

(١) قبيلتان (٢) منشم امرأة عطارة كانت تبيعهم ـن عطرها لموتاهم عندقيا بهم لحرب ، فاتخذوها علامة شؤم لهم وكناية عـ حرب شديدة (٣) دحل .

فتركبكم عرك الرحي بثفالها * وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم
فتتج لكم غلمان أشأم (١) كلهم * كأحمر عاد (٢) ثم ترضع فتفطم
فتعقل لكم مالا تعل لاهلها * قرى بالعراق من قفير وذرهم
لان ثمود عاد الآخرة . وقد يكون السبب التقاء .
لعمري لنعم الحي جر عليهم * بما لا يواتيهم حصين بن ضمضم
وكان طوى كشحا على مستكنة * فلا هو أبداها ولم يتقدم
وقال سأقضي حاجتي ثم اتقي * عدوي بالف من ورائي ملجم(٣)
فسد ولم يفرع بيوتا كثيرة * لدى حيث القت رحلها أم قشعم
لدى أسد شاكي السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم
جريء متى يظلم يعاقب بظلمه * سريعا والا يبد بالظلم يظلم
رعوا ظمأهم حتى اذا تم اوردوا * غماراً تفري بالسلاح وبالدم
فقضوا منايا بينهم ثم أصدروا * الى كلأ مستوبل متوخم
وكل ماحرت عليهم رماحهم * دم ابن نهيك أوقتيل المثلم
ولاشاركت في الموت في دم نوفل * ولاوهب منهم ولا ابن المخرم
فكلا أراهم أصبحوا بعقولهم * صحيحات مال طالعات بمحرم
لحي حلال يعصم الناس أمرهم * اذا طرقت احدى الليالي بمعظم

---

(١) غلمان شؤم .
(٢) هو قدار بن سالف عاقر الناقة الملقب بأحمر ثمود
(٣) يريد الفرس الملجم أو فرسان الاغراس الملجمة

كرام فلاذو الضغن بدرك ثله * ولا الحارم الجاني عليهم بمسلم
ستمنحك تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين حولا لا أبالك يسأم
واعلم ما في اليوم والامس قبله * ولكنني عن علم ما في غد عم
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب * تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم
ومن لم يصانع في امور كثيرة * يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يوف لا يذمم ومن يهد قلبه * الى مطمئن البر لا يتجمجم
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * وان يرق اسباب السماء بسلم
ومن يجعل المعروف في غير أهله * يكن حمده ذما عليه ويندم
ومن يسع أطراف الرجاح فانه * يطيع العوالي ركبت كل لهذم
ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه * ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومهما تكن عند امرىء من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم
وكائن ترى من صامت لك معجبا * زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم
وان سفاه الشيخ لا حلم بعده * وان الفتى بعد السفاهة يحلم
سألنا فاعطيتم وعدنا فصدتم * ومن اكثر التسآل وما سيحرم

نجد أنه بالرغم من اختلاف الرواة في أكثر أبياتها وتفيق أبيات منها مثل بيت (فكلا أراهم أصبحوا يعتلونه . » الذى يرويه الخطيب على

صورته الاولى بدما يرويه الاعلم على أن الشطرة الاولى منه صدر بيت والثانيه بحر آخر ، هكذا .

. وكلا أراهم أصحوا يتقلونهم * ما لة ألف بعد ألف معمم

تساق الى يوم لهوم غرامة * صحيحات مال طالعات بمحرم

وانتحال ظاهر في بعض أبياتها مثل (. كأني رى رضاءت لك معجب آلي . سالنا فاعطيتم وعدنا فعدتم) حتى أن الاعلم والخطيب لم يروها نجد انفسنا مندفعين الى الحكم بان معظم أبيات هذه المعلقه لزهير، لغتها واستحالة ظهورها الا عن المنسوبة اليه لدقة تصويرها ، روعة وصفها وعناء قائلها فيها وتصويرها له احسن تصوير ، ولحسن اتصال انتقاله من موضوع لآخر ، اتصال الطبيعة ، لااتصال التكلف والترفيع كما رأينا فى معلقة امرىء القيس فى الانتقال من ذكر المحبوبه الى وصف الفرس والليل انتقالا مفككا . حتي اذا ماأتينا الى الحكمة ، نجد دروسا بليغة يلقيها علينا أحد فلاسفة الحياة الذين يظهرون في كل جيل وفى كل أمة يبرون مثاقب أفكارهم آراء تخالف آراء معاصريهم ، وبذا لا نرتاب قط فى ايمان زهير على جاهليته بالبعث

يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر * ليوم الحساب أو يعجل فينقم

لانا نعتقد ان انكار الايمان بالبعث وبالله وبخلود الروح ، توجد فى كل عصر وفى كل أمة وان اختلفت انواعها وتباينت وسائل فهمها . على انه ليس بدعا ان يتفرد زهير ومثل زهير بنور البصيره فى عصر ظلمة

الجاهلية ! وليس غريبا ولاموضع شك أن يكون هذا قول زهير الحكيم وبذا نرى معظم أشعار زهير صحيح سببها له ، لان الرواة وان كانوا قد أبوا الاأن ينالوا زهيرا بمثل ما نالوا غيره منهم ، لكنهم لم يستطيعوا ! ان يعبثوا بالا بحال له كثيراً كما عبثوا بغيره ، لان شعر زهير قوى متماسك ، تظاهر عليه واصحة سوة الدخيل !!

(٤)

لبيد بن ربيعة

... حدثناك منذ قليل عن نبوغ طرفه ، ولكن هنا نوع آخر من النبوغ نبوغ لبيد يبدأ عنفا وشدة وصرحة داوية فى سبيل تعصبه لقبيلته ونصرتها اذ تقدم لهجو الربيع الذى طمس فى الشاعرين عند النعمان ،تقدم وهو غلام صغير الى النعمان بن المنذر ليهجو نديمه الربيع بن زياد ، واذا قلت النعمان وربيع فانما أقول مليكا ووزيرا محبوبا يتقدم غلام صغير فينير عليه قلبه بكلمات قلائل يقولها ،أن هذا لدليل على عبقرية فذة لازمت لبيدا منذ صغره ، عبقرية ليست بهينة لانها غيرت قلب ملك على نديمه (١) ، ولانها بدأت قوية ، وأخذت في السمو والازدياء حتى وصلت الي الحكمة

---

(١) فى قوله .

يارب هيجا هى من دعه * اذ لاتزال هامتى مقزعة
نحن بنى أم البنين الاربعة * ونحن خير عامر بن صعصعة
الطاعنون الجفنة المدعدعة * والضاربون الهام تحت الخيسعة
مهلا أبيت اللعن لاتأكل معه * ان استه من برص ملمعه
وانه يدخل فيها إصبعه .. يدخله حتى يواري أشجعه
كأنما يطلب شيئا اودعه

نحب أن نقف وقفات أطول عند شعر هذا الشاعر الذى اعجبنا به غلاما ، وكلما تقدمت به السن زاد اعجابنا حتى اذا ظهر النبي الكريم يدعو الى اله واحد يتقدم مؤمنا به ناصراً له متخذاً منه فى حياته نوعا من الشعر غير شعر الكلم ، نوعا من الشعور الروحى شعور النفس بقوة الايمان وشعور الروح بجمال الروحانية . حتى اذا ماقاربته الوفاة نجدنا نحس بالالم يحترق أشدتنا اذ يقول ذاكرا أشد أوقاته وفاء الصداقة وقيام الجوار .

تمنى ابنتاى أن يعيش أبوهما * وهل أنا الا من ربيعة أو مضر
أذا حان يوما ان يموت أبوكما * فلا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى ليس جاره * مضاما ولا خان الصديق ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

انظر كيف يبدأ معلقته بقوله .

عفت الديار محلها فمقامها * بمنى تأبد غولها فرجامها
فمدافع الريان عرى رسمها * خلقا كما ضمن الوحى (١) سلامها
ومن حرم بعد عهد أنيسها * حجج خلون حلالها وحرامها
رزقت مرابيع النجوم وصابها * ودق الرواعد جودها فرهامها
من كل سارية وغاد مدجن * وعشية متجاوب ارزا بها (٢)
فعلا فروع الايهقان وأطفلت * بالجلهتين ظباؤها ونعامها

(١) جمع وحى وهو الكتاب
(٢) اكل رزمة أى شديد صوت

ولمن عاكفه على أطلائها * عوذاً أجل بالفضاء بهامها
، حلا السيول عن الطلول كأنها * زبر تجد متونها أقلامها
جمع وشمة أسف نؤيرها * كفعا عرض دوتهن وشامها
ثم ح بعد ذلك ألي وقوفه سألها ، بعد ذكر عهاؤها .
دو . أساءلة وكيف سؤالنا * صما حوالد ما يبين كلامها
، وكان بين الجيم فاكة . * منها مغودر نوبها وثمامها
شاءت ظعن الحي حين تحملوا * فتكسوا قطنا تصر خيامها
من كل محفوف يظل عصيه * زوج عليه كله وقوامها
رجد كأن ساج توضح فوقها * وظباء وحرة عطفا أرآمها
حزق وريلها السراب كأنها * أجزاع بيشة أثلها ورضامها
بل ا مدكر ، نوار وقدمات * وتقطعت أسبابها ورمامها
فادا ماوصل ألى ذكر نوار حاجته الذكرى ، فيدمع قائلا .
مرية حلت فبيد وجاورت * أهل الحجاز فأين منك مرامها
بعثارق الجبلين أوبمحجر * فتضمنتها فردة فرخامها
فصوائق أن ابتت فمظنة * منها وحاف القهر أو طلحامها
فاقطع لبانة من تعرض وصله * ولشر واصل خلة صرامها
واحب الحا ل(١)بالجزيل وصرمه * باق اذا طلبت وزاع قوامها
بطليح أسفار تركن بقية * منها فاحنق صلبها وسنامها
فاذا تقالي لحمها وتحسرت * وتقطعت بعد الكلام خدامها

---

(١) الذي يجامل بالمودة

قلها حبـاب فى الزمام كانهـا * صهباء خف مع الجنوب جمـا
أو ملـع وسفت لأحقب لاحـه * طرد الصحول وضربها وكـا
يعلو بها حدب لاكام مسجج * و مد رابه عصيانها و جماحها
باجزء الثنوت يرباً دونها * قفر الخرائف خوفها أو آنسها
حتى اذا سلخا جمادى ستة (١) * جزءا فطال صيامه وصيامها
وحدا بأمرها الى ذى مرة * حصد ونجح صريمة ابرامها
ورمى دوابرها السفا وتريجت * ريح المصايف سومها وسهامها
كتما ما سبطا طير ظلال * كدخان مشعلة يشب ضرامها
عذ موة غلثت بها بت عرنج * كدخان نار ساطع أسنامها
غلثه وقـدمها وكانت عادة * منه اذا هى عردت اقدامها
فتوسطا عرض السرى وصـدعا * مسجورة متجاورا قلامها
عنقوة وسط البراع بظلها * منه مصرع ذابة وقنامها
أفتـك أم وحشـية مسـبوعة * خذلت وهادية الصوار توامها
خنساء ضيعت الفريز فسلم برم * عرض الشقائق طوفها وبغامها
لمفر قهـد تنازع شلوه * غبس كواسب لا يمن طعامها
صادفن منها غرة فاصبنها * ان المنايا لا تطيش سهامها
بانت وأسبل واكف من ديمة * يروى المخـائل دائما تسجامها
يعلو طريقة متنها متواتر * في ليلة كفر النجوم غمامها

---

(١) أراد ستة أشهر آخرها جمادى

فجاف أصلا قالصا متبذا * بمجوب أنقاء يميل هيامها
تضيء فى وجه الظلام منيرة * كجمانة البحري سل نظامها
حتى اذا حسر الظلام واسفرت * بكرت تزل عن الثرى أزلامها (١)
جلهت ردد في بياء صعائد * صبأ تؤاما كاملا أيامها
حمي اذ يبست وأسحق حالق * لم يبله ارضاعها وفطامها
هرجست زر الانيس فراعها * عن ظهر غيب والانيس سقامها
فغدت كلا الفرجين تحسب أنه * مولى المخافة خلفها وأمامها
حتى اذا يئس الرماة وأرسلوا * غضفاً دواجن قافلا أعصامها
فلحقن واعتكرت لها مدرية * كالسمهرية حدها وتمامها
فتذودهن وأيقنت ان لم تذد * ان قد أحم من الحتوف حمامها
فصدت منها كالحساب فضرجت * بدم وغودر فى المكر سخامها
فتلك اذ رقص اللوامع بالضحى * واجتاب أردية السراب اكامها
تقضى البانة لا أمرط ريبه * أو أن يلوم بحاجة لوامها

الى أن يقول مفتخراً بفعاله وقوله وقومه

فاذا التقت الجامع لم يزل * منا لزاز عظيمة جشامها (٢)
وقسم يعطي العشيرة حقها * ومغذمر حقوقها هضامها (٣)

---

(١) قوائمها التي كالازلام أو أظافرها (٢) لزاز الخصوم هو الذى يصلح فلان يظلمهم . والجشام هو الذي يتكلف الامور على مشقة (٣) مغذمر من الغذمرة وهى الغضب . والهضام الظالم

فضلا وذوكرم يعين على الندى * سمح كسوب رغائب (١) غنامها
من معشر سنت لهم آباؤهم * ولكل قوم سنة وامامها
لا يطبعون (٢) ولا يبور معالهم * اذ لا تميل مع الهوى احلامها
فقه بما قسم المليك فانما * قسم الخلائق بيننا علامها
واذا الامانة قسمت فى معشر * أوفى بأوفر حظنا قسامها
فبنى (٣) لنا بيتا رفيعا سمكه * فسما اليه كهلها وغلامها
وهم السعاة اذا الشيرة أعظمت * وهم فوارسها وهم حكامها
وهم ربيع للمجاور فيهم * والمرملات اذا تطاول عامها
وهم الشيرة أن يبطىء حاسد * أو أن يميل مع العدو لئامها

فأي بالة فخر وأي تحدث بالتجده والكرم وايواء الجار ، زينه القول ، ممزوجا بالالفاظ الجزلة ذات المعاني الدقيقة والمقاصد السامية ! ثم انظر اليه وقد تنازع بين عاطفتين ، عاطفة الوصل وعاطفة واجب شرعه الحسن ، فلم يتردد ان يقول بقطع لبانة من لم يستقم وصله لان غير واصل هو من يحسن وصلا للقطيعة ، وضمها ويقول

فاقطع لبانه من تعرض وصله * ولخير واصل خلة صرامها

ثم انظر اليه ذاكرا لك بعد ذلك ان المجامع لا تخلو من رجل من

---

(١) الرغائب جمع الرغيبة وهي العطاء الكثير . والامر للرغائب يا فضلا تفضلا (٢) الطبع تلطخ العرض . البور الفساد . الاحلام العقول
(٣) الضمير يعود على الخالق سبحانه وتعالى

تمسكه بقسم المخصوم وبة بكلف الخصام ، وان منهم من قسم غنائم الحرب
غيور على المشائر حقوقها ويغضب اذا ضاع شيء منها كما أنه لا يرضى
ان تظلم عشيرته فيهضمها حقها اذا أقدمت على الظلم ، فيقول

اما اذا التقت الجامع لم يزل * منا لزاز عظيمة جشامها
ومقسم يعطى العشيرة حقوقها * ومنذمر لحقوقها هضامها

ثم يخرج من هذا وذاك الى الرضي بالقضاء والقدر ، فيقول

فاقنع بما قسم المليك فانما * قسم الخلائق بيننا علامها

. هنا يجب ان نقف لنتساءل هل ذكر لبيد هـذا البيت الدال على
ايمانه بالقضاء والقدر فى العصر الجاهلي ، يجعلنا نشك فى صحته وأمثاله
أم لا . أما نحن فنطمئن كل الاطمئنان لاننا نعرف ان لبيـدا كان يميل
للحكمة فى جميع أشعاره ، والحكمة كما قلنا وكما ذكرنا أدل وصل للايمان
لان الحكيم يفهم العالم ويدرك انه موجود بموجد ، فاذا أدرك هذا استطاع
أن يصل الى ما يوحيه ايمان المؤمن من عقيدة ببقاء الروح وخلودها ومن
ايمانه بالقضاء والقدر وعدم التبرم بالحياة لادراكه ان الله قسم بينه الامور
كما تقتضيه حكمته لامر يعلمه هو ولا نستطيع نحن الوصول الى سر حكمته ؛
لذا نجد في شعر لبيد كثيرا من الحكمة مثل قوله فى رثاء النعمان

الا تسألان المرء ماذا يحاول * أنحب فيقضى أم ضلال وباطل «١»

---

١ — «١» المحاولة استعمال الحيلة . النحب النذر

أرى الناس لا يدرون مافدر أمرهم * بلى كل ذي لب الى الله واسل(١)
ألا كل شيء ماخلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل
وكل اناس سوف تدخل بينهم * دهيهة تصفر منها الانامل (٢)
وكل امرىء يوما سيعلم غيبه * اذا كشفت عند الاله المحاثل (٣)

ولجده يقرر فيه اموراً اسلامية اذ يقول سلوا هذا الحريص على الدنيا الراغب فيها هل سعى نذرا يلزمه سعيه أم هو ضلال باطل من من أمره ؟ الا ان الدنيا حقيرة سريعة الزوال فالعاقل من يتوسل الى الله بطاعته وامتثال أوامره بسلك الصالح واجتناب نواهيه بابتعاده عن المنكرات ، فالكل زائل ، وجميع ماني العالم باطل مضمحل ، وليس من دائم غير الله تعالى ، حتى اذا اذن مؤذن الموت تبينت اذ ذاك للانسان حسناته وسيئاته . . ولكن مع هذا نرى كما قلنا ان هذه المعاني ظهرت في العصر الجاهلية قبل ظهور الاسلام ، لان الاسلام لم يحي كل الفضائل الانسانية والمعاني الروحانية دفعة واحدة ، بل أتى ليتمها ويكملها . اذن وجود هذه المعاني لايرينا في معلقة لبيد ، ولان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير كلمة قالها شاعر قول لبيد (الا كل شيء ماخلا الله باطل) وهذه خير شهادة بورود هذه المعاني في معلقة لبيد . وبما أن المعروف عن لبيد

---

(١) الواصل الطالب والراغب الى الله (٢) الدهيه الامر العظيم ويقصد به الموت . الانامل الاطفال (٣) جمع حصيلة والمراد الحسنات والسيئات

انه لم يقل فى اسلامه شعراً الا قوله

الحمد لله الذى لم يأتنى أجلى * حتى كسانى من الاسلام سربالا

فى رواية . وقوله فى أخرى

ماغاب الحر الكريم كنفسه * والماء يصلحه الجليس الصالح

وبوله الابيات التي ذكرناها عند وفاته . يعزز هجره الشعر

وقوله لعمر بن الخطاب حينما سأله ان ينشده من شعره « ما كنت لأقول شعراً بعد اذ علمني الله سورة البقرة » فادن فجميع شعره جاهلي . وهو وان يكن كجميع الشعر الجاهلي لا يخلو من بعض أبيات مستحلة ، لكنه في مجموعه الظروف التي أحاطت به يضيق الخناق على المتحلين لأنهم لن يجدوا فيه الميدان الفسيح الذي وجدوه فى غيره ، ولان شاعريه ليست من تلك الشاعريات المعقدة التي لايسهل تقليدها لانه كرهير تظهر قوة التخيل في شعره ، ويزيد عنه انه صحابي جليل تحول مكانته بين كبار الرواة وبين الانتحال له ،

انكانت لم تحل بين صغار النفوس منهم اذلم تحل مكانة النبي بين كذب الرواة عليه ، ولكن حتى هؤلاء كان المجال أمامهم ضيقا ! ..

كلمة مجملة

عن باقي أصحاب المعلقات السبع

١ ـ عمرو بن كلثوم

.. هنا رواية قصصية ، اذ يقول الرواة ان مهلهلا لما تزوج هند بنت عتيبة ولدت له جارية ، فأمر أمها بقتلها ، واذا بها تقف به في نومه يهتف به قائلا

كم من فتى مؤمل * وسيد شمردل
وعدد لا يحهل * في بطن بنت مهلهل

فلما استيقظ سأل عنها فقالت أمها . قتلتها ، فقال . لا ، والله ربعة ! . ثم كبرت البنت وتزوجها كلثوم بن مالك . وعند حملها بعمرو هتف بها هاتف

يالك لي لي من ولد * يقدم اقدام الاسد
من جشم فيه المدد * أقول قولا ، لا فند

وعند ولادته قال لها هذا الهاتف

أنا زعيم لك أم عمرو * بأجد الجد كريم النجر
أشجع من ذي لبد هزبر * وقاص أقران شديد الاسر

يسودهم في خمسة وعشر

قال الرواة . وسادهم وهو ابن خمس عشرة سنة ! ثم تحدثنا أو تحدث عبدالله ن مسلم بن قتيبه الدينوري فى كتابه الشعر والشعراء عن حديث قتل عمرو بن كلثوم بمرو بن هند الملك حينما طلب ان تزور أم بن كلثوم أمه وأوعز اليها أن تستخدمها ، فدعا ء ثدة ونصها ثم دعا بالطرف فقالت هند أم الملك لضيفتها ياليلي ناولني ذلك الطبق فقالت لتقم صاحبة الحاجة الي حاجتها فاعادت عليها ، فلما ألحت صاحت ليـلي وأذلاه ، يالتغلب ، فسمعها ولدها فثار الدم في وجهه فقام الى سيف معلق لعمرو بن هنـد بالرواق فضرب به رأس الملك حتي قتله » !

فأنت ترى خيالا سيداً فى حدث الهاتف ، وبري سالاه فى قصة شجاعة عمرو وضالاة فى اظهار ظلم عمرو بن هند ، لان المعروف عن العرب اكرام الضيف ، وليس من اكرم الضيف فى شيء أن يطلب منـه ان يخدم المضيف ، كما أنه اذا مرض وأراد الملك اذلال أم بن كلثوم بخدمتها لامه فان رسائل الاذلال كثيرة ، ليس منها هذه الوسيلة التي تنفر منها نفوس العرب كما نعلم من تاريخهم . . وهنا « بطل » من أبطال القصص ، بطل لانستطيع أن نستخرج من روايات الرواة عنه شيئا ، فبالاحرى لانستطيع ان نجزم بنسبة ما ينسب اليه من شعر . على أن المعروف من روايات الرواة أن بن كلثوم كان عظيما ، شريفا ، فارساً ، شغلته الرياسة وخوض الحروب عن قول الشعر حتي أن خير ماينسب له معلقته المبنية على سخفه بشجاعته وتمديد مآثر قومه ، انظر اليه مثلا وهو يقول فى معلقته

ألا هبي صحنك (١) فاصبحينا (٢) * ولا تبقي خمور الاندرينا (٣)
مشعشعة (٤) كان الحص فيها * اذا ما الماء خالطها سخينا
تجور بذي اللبابة عن هواه * اذا ماذاقها حتى يلينا
ترى الحز الشحيح اذا أمرت * عليه لما له فيها دفينا
صنت (٥) الكأس عنا أم عمرو * وكان الكأس مجراها اليمينا
وماشر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذي لاتصبحينا
وكأس قد شربت بيعلبك * وأخرى في دمشق وقاصرينا
وأما سوف تدركنا المنايا * مقدرة لنا ومقدرينا
ففي قبل التفرق يا ظبينا * نخبرك اليقين وتخبرينا
فهي سألك هل أحدثت صرما * لوشك البين أم خنت الامينا
بيوم كريهة ضربا وطعنا * قرير به موالك العدينا
وان غدا وان اليوم شهر * بدا غد نلا تريانا
تريك اذا دخلت على خلاء * وقد أمنت عيون الكاشحينا
ذراعي عيطل ادماء بكر * هجان اللون لم تقرأ جنينا
وثدي مثل حق العاج رخص * حصانا من أكف اللامسينا
ومتي لدنة سمقت وطالت * رواديها تنوء بما ولينا
وماكمة يضيق الباب عنها * وكشحاقد حصرت به حصيناً

---

(١) الصحن ، القدح العظيم (٢) اسقينا الصبوح وهو ما أصبح عندهم من الشراب (٣) قرية بالشام (٤) ممزوجة (٥) صرفت

وساريق بلنط أو رخام * يـ ن خشاش حليها رنينا
فما رجدت كوجدي أم سقب * أضلته فرجعت الحنينا
ولا شمطاء لم يترك شقاها * لها من تسعة الا حنينا
تذكرت الصبا واشتقت لمـا * رأيت حولها أصلا حدينـا
فأعرضت اليمامة واشمخرت * كأسـياف بأيدى مصلتينا
أنا هنـد فلا تعجل علينا * وأنظرنا نخبرك اليقينا
بأنا نورد الرايات بيضا * ونصدرهن حمراً قد روينا

الى أن يقول

ألا لا يجلم الاقوام أنا * نصعضعنا وأنا قـد وبينا
الا لايجهلن أحـد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا
بأي مشيئة عمرو بن هند * تكون لقيلكم فيها قطينا
بأي مشيئة عمرو بن هند * تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
تهددنا وأوعدنا رويداً * متى كنا لامك مقتوينا
قفي قبل التفرق يا ظعينا * على الاعـداء قولك أين أينا
اذا مـا الثقف بها اشمأرت * ورأيتهم عشرزنه زورا
عشوزنه اذا انقلبت أرنت * نشج قفا المثقف واليدينـا

الى أن يقول في خاتمتها

وقد علم القبائل من معد * اذا قبب بابطحها بنينا (١)

---

(١) الابطح والبطحاء مسيل واسع فيه دقاق الحصى

بانا الطعنون اذا قدرنا * وأنا المهلكون اذا ابتلينا
وأنا المانعون لما أردنا * وأنا النازلون بحيث شينا
وأنا التاركون اذا سخطنا * وانا الآخذون اذا رضينا
ونشرب ان وردنا الماء صفواً * ويشرب غيرنا كدراً وطينا
اذا ما الملك سام الناس خسفاً(١) * أبينا أن نقر الذل فينا
لنا الدنيا ومن أمسى عليها * ونطش حين نبطش قادرينا
بغاة ظالمين وما ظلمنا * ولكنا سنبدأ ظالمينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا * ونحن البحر نملؤه سفينا
اذا بلغ الرضيع لنا فطاما * تخر له الجبابر ساجدينا

فنجد شكلا شديداً ناتجاً عن انفصال كثير في القصيدة من الشدة في الغزل الي الفروسية فيه ، هذا علي أن القدماء أنفسهم شكوا في نسبة كثير من أبيات هذه المعلقة لصاحبها اذ يروون ان الابيات الثلاثة من قوله (صبنت الكأس عنا أم عمرو) الي قوله (وكأس قد شربت بعد بيعلبك) ليست له بل هي دخيلة علي قصيدته اذ أنها لعمرو بن عدي الخمي من أخلاط جذيمة الابرش ، ويروون أن الجن خطفته فر علي مالك وعقيل تسقيها أم عمرو هذه صبنت الكأس عنه فلما قال البيتين الاولين سقته الخ القصة . هذا علي سقوط أبيات كثيرة من معظم الرواة ؛ وانكار بعض المتقدمين بعض أبيات مثل انكار المفضل الضبي بيت

لنستلبن أقراناً وبضا * ونأسر في الحديد مقرنينا

وقوله بن هذا البيت ليس من القصيدة

ب ـ عنتره بن شداد

و عنتره ، بطل من أبطال الحروب ، غالي الفاطميون في ذكر حوادث شجاعته وعلوه دوانا لايخفى على صبيان لما كان له محول لان القصص التي تحدث عنها تمت الى خيال العجائز بسبب كبير ، واصل أعظم قصيدتين له ، لعائبة التي قال فيها سمية امرأة أبيه اذا دعت أنه راودها عن نفسها فأغضبت ذلك أباه عليه ، فضربه مريدا قتله فوقف عليه سمية التي يقال انها كانت عجوزا عنترة لا و فقال

أمن سمية دمع العين مذروف * لو أن ذا منك قبل اليوم معروف

والقصيدة التي كانت أول ماقاله وسببها كما يقولون ان رجلا عيره بسواده وبعدم فوا الشعر فجادت قريحته بها وقال

هل غادر الشعراء من متردم * ام هل عرفت الدار بعد توهم

أعيتك رسم الدار لم يتكلم * حتى تكلم كالاصم الاعجم

ولقد حبست بها طويلا ناقتي * أشكو الى سفع رواكد جثم

يا دار عبلة بالجواء تكلمي * وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

دار لآنسة غضيض طرفها * طوع العناق لذيذة المتبسم

ثم ختمها بقوله

ولقد خشيت بأن اموت ولم تدر * للحرب دائرة على ابني ضمضم

الشاتمي عرضي ولم أشتمهما * والناذرين اذا لقيتهما دمي

أثن يفلا فلقد تركت أباهما * جزر السباع وكل نسر قشعم

فالقصيدة على مافيها من ذكر خصاله ومكارم قومه ودفاعه عنهم وتمجيد

على وصف امور كثيرة ،على مافيها من سهولة الالفاظ والشدة و الحماسة والفخر وانسجام تبه لغاربه بطل مثل عنترة . لم تخل من بث الرواة يزيد. رأيا ذلشاه.. بيتا. لحا اذ اراد. ويخصها منهم مثل الاعلم والزوزني بأبيات كالتي ذكرناها بما فخمها مثل محمد بن حطاب بعد (ولقد كررت الله) ارسة ابيار غير الثلاثة التي ذكرنا

ذ تقى عمرو ودعى عدوة * حذر الاسنة اذ شرعن لدهم
يحمى كتيبته وسمي حلفها * بقرى عواقبها كاغ الارثم
ولقد كشفت الحرعن مربوبة * ولقد وقفت على لو شرحهم
ولرب يوم قد لهرت وليلة * بمسور ذى بارقين مسوم
،لك أت أن ستنتج من هذا الخلط سازى !!

ح الحارث بن حلزه

هذا شعر أبرص رنجل معلقته (آذنت بينها أسماء) بن يدى عمرو بن هند فى خصومة كانت بين بكر وتغلب . والمعلقة طويلة نذكر مطلعها

آذنتا ببينها أسماء * رب ثاو يمل منه الثواء

وقوله بينها وهو خبر ماقيل فى وصف التأهب للرحيل

أجمعوا أمرهم عشاء فلما * أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء
من مساد ومن مجيب ومن نعـ * ـم بهال خيـل خلال ذاك رغاء

ونرى أن سبب الاقوي لهـذا الترجيح قوة المعلقة فى أحكام نظمها وكثرة غريبها و شمالها على الكثير من وقائع العرب مالا يحكمه الارتجال التى زعمه الرواة للحارث

(تم بحمد الله)

الخاتمة

ولم نرد بما كتبنا غير أن نرى منهجاً من مناهج البحث الجديدة وطريقة طريفة لدراسة الشعر والشعراء ، لذلك أتينا بذكر أصحاب المعلقات وكنا نود أن يطول بنا الوقت لذكر الاعشى ميمون والنابغة الذبياني وعبيد ابن الابرص وغيرهم من شعراء الجاهلية ، ولكنا فضلنا أن يكون البحث قاصراً على الستة الذين ذكرنا ، راجين أن تتاح لنا الفرصة في وقت أطول من الساعات التي كنت أختلسها من وقتي لدراسة هؤلاء الشعراء دراسة تمهيدية لا يقصد منها أشباع رغبة قارئها ، بل اعطاءه فكرة عامة عن السبيل الى المباحث كما نرجو أن نكون قد وفقنا فيما أردنا من تمهيد وما قصدنا من توطئه والسلام

محمود علي قراعه